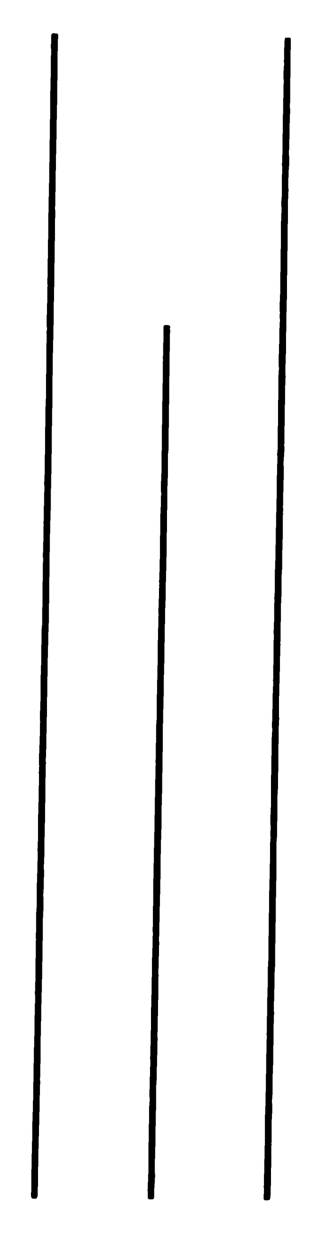


حاجة البشرية

إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي

للعلامة الإمام السيد أبي الحسن علي الحسني الندوي

دار ابن كثير



حاجة البشرية

إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي

○ الموضوع: ثقافة إسلامية
العنوان: حاجة البشرية إلى معرفة صحيحة ومجتمع إسلامي
تأليف: الشيخ أبي الحسن الندوي

الطبعة الثانية

١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م
ISBN 978-614-415-147-1

ISBN 978-614-415-147-1


○ الطباعة والتجليد: ملكي برنت ش
○ الورق: أبيض / الطباعة: لون واحد / التجليد: غلاف
○ القياس: ١٤×٢٠ / عدد الصفحات: ٨٠ / الوزن: ١٦٠ غ



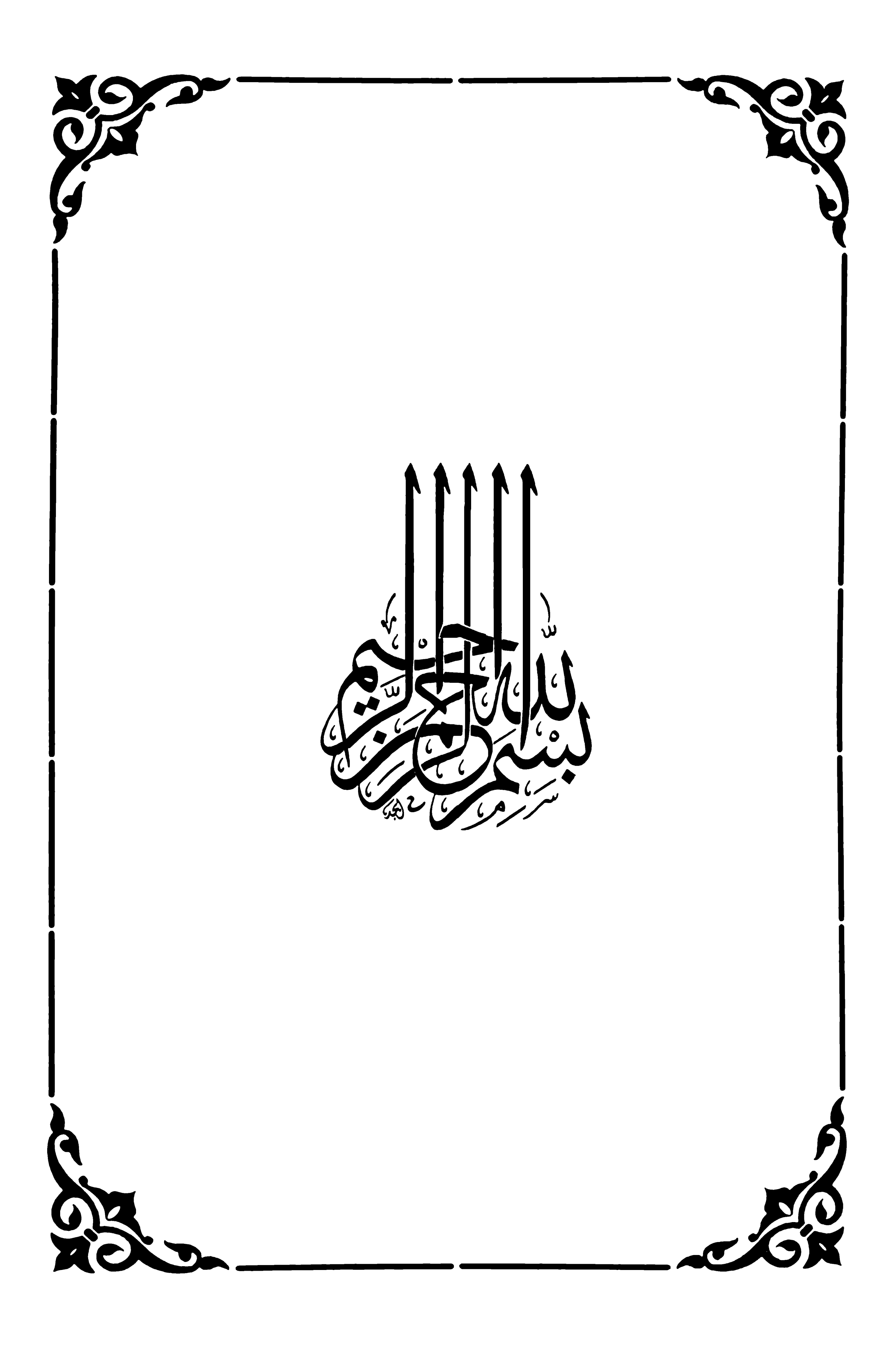
دمشق - سوريا - ص.ب : ٣١١
حلبوني . جادة ابن سينا . بناء الجابي - صالة المبيعات تلفاكس: ٢٢٢٥٨٧٧ - ٢٢٢٨٤٥٠
الإدارة تلفاكس: ٢٢٤٣٥٠٢ - ٢٢٥٨٥٤١
بيروت - لبنان - ص.ب : ١١٣/٦٣١٨
برج أبي حيدر . خلف دبوس الأصلي . بناء الحديقة - تلفاكس : ٨١٧٨٥٧ ٠١ - جوال : ٠٣٢٠٤٤٥٩
www.ibn-katheer.com - info@ibn-katheer.com

حَاجَةُ البَشَرِيَّة

إلى مَعْرِفَةٍ صَحِيحَةٍ وَمجتَمَعٍ إِسْلَامِيٍّ

لِلعَلَّامَة الإمَام السَّيِّد أبي الحَسَن علي الحسني النَّدويّ




بسم الله الرحمن الرحيم

هذا الكتاب

يتناول هذا الكتاب ثلاثة عناوين :

أولاً : النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة ، فالقرآن الكريم يلح على أن الأنبياء هم الأدلاء على ذات الله وصفاته وهم الوسيلة التي لا يشوبها جهل ولا ضلال .

وثانيها : مطالبة القرآن للمسلمين بالانقياد التام والاستسلام الكامل .

وبما أننا عباد الله في الأمور كلها ، فينبغي لنا أن نكون ممتثلين للأوامر الإلهية ، ومتمسكين بها .

وثالثها : استعراض المجتمع الإسلامي المعاصر في ضوء الواقع مع توضيح أسباب حيرة العالم الإسلامي ومعرفة مصادرها ، وأسبابها ، ونتيجة هذه الحيرة .

والنقاط الرئيسية الحاسمة لتغيير الحال والعودة بالأمة الإسلامية إلى دورها الإصلاحي والقيادي .

* * *

النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة

نموذج من فكر الإمام ابن تيمية :

إن الإمام أحمد بن عبد الحليم بن تيمية خليق بأن تكتب عنه كتب كثيرة في أنحاء العالم الإسلامي ، فإنه يصلح أن يقال : إن هذا العصر عصر ابن تيمية ؛ فقد كان لشخصيته ودعوته ودوره الإصلاحي عودة في هذا العصر ، ولكتاباته وأفكاره واتجاهاته انتفاضة لم تكن لمصلح إسلامي أو مؤلف من المؤلفين القدامى ، لأسباب تحتاج إلى شرحها إلى كتاب مستقل .

وقد كانت الهند خليقة بأن تهتم لوجود صلات عميقة الجذور بين دعوته وجهاده ، وبين أوضاع هذه البلاد الدينية والعلمية ، لوجود بعض كبار المدافعين عن دعوته ومدرسته وتحقيقاته ، كحكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم الدهلوي من رجال

القرن الثاني عشر الهجري[1] وخلفائه وتلاميذه وتلاميذ تلاميذه ، وما نالت دعوتهم العلمية والإصلاحية في شبه القارة من ترحيب وقبول حسن ، ونشاط وحماس في القرن الثالث عشر وبعده ، وقامت على أساسها مدارس تربوية ثقافية ، وحركات إصلاحية دعوية .

وكانت تجمع بين الدعوة إلى التوحيد الخالص واتباع السنة السنية وبين ما كانت تحتاج إليه هذه البلاد ويقتضيه الزمان ، من الدعوة إلى تزكية النفوس وتربيتها والقيام بحركة الجهاد في سبيل الله وتحرير البلاد ، والسعي في إنشاء حكومة إسلامية على منهاج الخلافة الراشدة ، ونقل المراجع الدينية الأصلية إلى لغة البلاد ونشرها في نطاق واسع ، وإصلاح المجتمع الإسلامي الهندي ، وإنقاذه من رواسب الجاهلية الهندية والتقاليد والأعراف القديمة التي لا تتفق مع تعاليم الإسلام ، والقيام بجولات دعوية واسعة ، والاتصال بالشعب والجماهير اتصالاً مباشراً ، وهو مما اتَّسمت به وامتازت مدرسة حكيم الإسلام الشيخ ولي الله الدهلوي م ١١٧٦ هـ التربوية والإصلاحية ، ودعوة السيد الإمام

(١) وهو صاحب الكتاب الفريد في موضوعه «حجة الله البالغة» توفي سنة ١١٧٦ هـ. وهو المعروف بالشيخ ولي الله الدهلوي ، ليراجع كتاب العلامة الندوي (رجال الفكر والدعوة في الإسلام ـ الجزء الرابع) صدر مصححاً ومنقَّحاً عن دار ابن كثير بدمشق عام ١٩٩٩ م.

أحمد بن عرفان الشهيد (١٢٤٦) الإصلاحية الكفاحية الكبرى[١].

إن شيخ الإسلام ابن تيمية كان من أفذاذ المحققين والباحثين، والمصلحين المجددين، في تاريخ الإسلام، ومن عماليق الفكر الإسلامي ومن أجمعهم لشعب الإصلاح المطلوب، والدور الإصلاحي والتجديدي الشامل، منها تجديد عقيدة التوحيد، وإبطال العقائد والتقاليد المشركة، ومنها نقد الفلسفة والمنطق وعلم الكلام وترجيح أسلوب الكتاب والسنة، ومنها نقد الديانات والملل المعارضة والمحاربة للإسلام، والرد على الفِرق والنحل المنحرفة عن الطريق القويم، والثائرة على الإسلام، فمن الديانات المسيحية المجابهة للدين الإسلامي عقيدة ودعوة، وقوة سياسية، ونفوذاً مادياً[٢] ومن الفِرق «الشيعية» التي ما أضر بالإسلام والمسلمين مثلها[٣] وما شكك مثل ما شككت في نجاح جهود سيد الرسل وخاتمهم في دعوته وتربيته، وفي تميز من نشأ في أحضان النبوة وتخرج في مدرسة الرسالة السماوية والتعاليم النبوية بطريق مباشر، عن الأجيال

---

(١) ليرجع للتفصيل إلى كتاب العلامة الندوي «سيرة السيد أحمد الشهيد» الجزء ١ ـ ٢ بالأردية وكتاب «إذا هبت ريح الإيمان» بالعربية، طبع في الكويت من دار القلم، وفي دمشق من دار ابن كثير.

(٢) ونموذجه كتابه العظيم «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح».

(٣) ومثاله كتابه العظيم «منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية».

البشرية وأمم الأنبياء، في الصلاح والاستقامة، والسمو والطاعة لله ورسوله، وشككت في نقاء الكتاب المنزل الأخير وبقائه على أصالته ونصه وفي عقيدة ختم النبوة ووحدة الرسل ـ بما تقوله وتعتقده في الإمامة وأئمتها ـ ومنها تجديد العلوم الشرعية وتنشيط الفكر الإسلامي وتوسيع ثروته وتعميقها، وإثبات الحاجة إلى الاجتهاد، وكل ذلك في اتزان واقتصاد، واعتراف للأئمة المجتهدين السابقين بالفضل ورد الملام عنهم والتماس العذر لهم.

وتلك كلها مآثر علمية فكرية بطولية لا يستهان بقيمتها ولا يقلل من شأنها، ولا تتيسر ولا تتوفر إلا لمن أراد الله به الخير لهذه الأمة وقيضه للقيام بمهمة الإصلاح والتجديد.

ولكن مأثرته الكبرى الرئيسية في اعتقادي وفي ضوء دراساتي المقارنة واستعراضي لتاريخ الفكر الديني، وما قام عليه من مجتمعات ومدارس، وحركات علمية وفكرية وتأليفية، هي تركيزه على حاجة البشرية إلى النبوة، والضغط على أنها الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة، وهو المدخل الرئيسي الكبير إلى تحديد مكانة شيخ الإسلام التحقيقية والتجديدية ومنزلته بين علماء الإسلام والدعاة والمصلحين، وذلك يحتاج إلى شيء من الشرح والإفاضة في الموضوع وبيان «الخلفيات» التي لا يمكن الشعور الحقيقي بمدى أهمية هذه

المـأثـرة وقيمتهـا ، بــدون الاطـلاع عليهـا ، وبضـدهـا تتبيـن الأشياء».

مـاذا يـثبتـه الـقـرآن ويعـلنــه؟ :

يلح القرآن على أن الأنبياء هم الأدلاء على ذات الله وصفاته الحقيقية ، وهم الوسيلة الوحيدة لمعرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة ، التي لا يشوبها جهل ولا ضلال ، ولا سوء فهم ولا سوء تعبير ، ولا سبيل إلى معرفة الله تعالى الصحيحة إلا ما كان عن طريقهم ، لا يستقل بها العقل ولا يغني فيها الذكاء ، ولا تكفي سلامة الفطرة ، وحدة الذهن والإغراق في القياس والغنى في التجارب ، وقد ذكر الله تعالى هذه الحقيقة الناصعة على لسان أهل الجنة ، وهم أهل الصدق وأهل التجربة ، وقد أعلنوا ذلك في مقام صدق فقالوا : ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ [الأعراف : ٤٣] وقرنوا هذا الاعتراف والتقرير بقولهم : ﴿ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ﴾ [الأعراف : ٤٣] فدل على أن الرسل وبعثتهم هي التي تمكنوا بها من معرفة الله تعالى وعلم مرضاته وأحكامه والعمل بها ، الذي تمكنوا به من الدخول في الجنة والوصول إلى دار النعيم.

وقد ختم الله تعالى سورة جليلة من سور القرآن وهي سورة الصافات ، وقد نفى فيها ضلال المشركين وسوء اعتقادهم ونسبتهم إلى الله ما هو منه بريء ، فقال في آخر السورة :

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٠ ـ ١٨٢] والآيات الثلاث حلقات متصلة بعضها ببعض، فلما نزه الله نفسه العلية مما يتفوه به المشركون، ذكر المرسلين الذين جاؤوا بالتنزيه والتقديس الكاملين، والوصف الصحيح البليغ، وسلم وأثنى عليهم لأنهم هم أهل الفضل في تعريف الخلق بالخالق، وفي الوصف الصحيح الصادق، وكانت بعثتهم منة على الخلق، ونعمة على الإنسانية، ومن مقتضيات الربوبية الرحيمة الحكيمة، فختم كل ذلك بقوله: ﴿ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الصافات: ١٨٢].

ضلال الفلسفة اليونانية وسر شقائها وخيبتها:

إذاً فقد ضل وتعب وجاهد في غير جهاد من أراد معرفة الله تعالى المعرفة الصحيحة وصفاته وأسمائه الحسنى، وما بينه وبين هذا العالم من صلة، وكيفية إحاطته به وقدرته عليه ونفوذ أحكامه فيه عن غير طريق الأنبياء والمرسلين، واعتمد في ذلك على عقله وعلمه، وذكائه وإلمامه ببعض العلوم والصنائع، ونجاحه في بعض المحاولات العلمية، وإنتاجه الضعيف المتواضع أو العظيم الضخم في بعض مجالات علمية، وحق عليهم قوله تعالى: ﴿ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران: ٦٦].

وهذا سر ضلال الفلسفة الإغريقية الإلهية وأقطابها ونوابغها فقد غرهم ذكاؤهم وعلومهم وآدابهم وشعرهم الخصب الغني وملاحمهم العظيمة التي نظموها ونبوغهم في علوم الرياضة والهندسة ، والإقليدس والفلسفة الطبيعية ، والنجوم والفلكيات ، فخاضوا في الإلهيات وفي موضوع الذات والصفات والخلق ، والإبداع ، فجاؤوا بالسخيف المرذول ، وبالمتهافت المتساقط ، وبالمتناقض المتضاد من الآراء والأقوال والتحكمات والتخمينات ، التي صدق حجة الإسلام الغزالي رحمه الله في وصفها بقوله :

«ظلمات بعضها فوق بعض. لو حكى الإنسان عن منام رآه لاستدل على سوء مزاجه ، أو لو أورد جنسه في الفقهيات التي قصارى المطلب فيها تخمينات لقيل إنها ترهات ، لا تفيد غلبات الظنون»[١] .

وقال في موضع آخر : «لست أدري كيف يقنع المجنون من نفسه لمثل هذه الأوضاع ، فضلاً عن العقلاء الذين يشقون الشعر بزعمهم في المعقولات»[٢] .

---

(١) تهافت الفلاسفة ، ص ١٠٥ .

(٢) المرجع السابق ، ص ١٢٤ .

دور ابن تيمية في التركيز على ما جاء عن طريق الأنبياء، وتزييفه لآراء الفلاسفة:

ويأتي ابن تيمية في القرن الثامن الهجري ، وهذا القرن مسحور مبهور بكلام الفلاسفة والمنطقيين ، فيجعل الرد عليهم موضوعه الأثير الحبيب ، ويركز عليه في كتاباته وبحوثه ، فيقول مثلاً معلقاً على كلام الفلاسفة والحكماء: «يتأمل اللبيب كلام هؤلاء الذين يدعون الحذق والتحقيق مايدفعون به ما جاءت به الرسل، كيف يتكلمون في غاية حكمتهم ونهاية فلسفتهم بما يشبه كلام المجانين، ويجعلون الحق المعلوم بالضرورة مردوداً، والباطل الذي يعلم بطلانه بالضرورة مقبولاً بكلام فيه تلبيس وتدليس[1].

وحق عليهم قوله تعالى: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ١٩] وقوله تعالى: ﴿ ۞ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾ [الكهف: ٥١].

المقارنة بين الإلهيات اليونانية وعلوم الأنبياء وتعاليمهم:

إنه يتعجب حينما يتناول مباحث العلوم الإلهية لفلسفة اليونان وأقوال فلاسفتهم الذين يقرنونها بالعلوم والحقائق التي يأتي بها

---

(١) منهاج السنة ، ج/٣ بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول في الحاشية ، ص ٢٧٢.

الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، يقول في حماس زائد وقوة بالغة:

«إذا نظر في كلام معلمهم الأول ـ أرسطو ـ وتدبره الفاضل العاقل لم يفده إلا العلم بأنهم كانوا من أجهل الخلق برب العالمين، وصار يتعجب تعجباً لا ينقضي ممن يقرن علم هؤلاء بالإلهيات بما جاءت به الأنبياء ، ويرى أن هذا من جنس من يقرن دهاقين القرى بملوك العالم ، فهو أقرب إلى العلم والعدل ممن يقرن هؤلاء الأنبياء ، فإن دهقان القرية متول عليهم كتولي الملك على مملكته ، جزء من الملك».

وأما ما جاءت به الأنبياء فلا يعرفه هؤلاء ألبتة ، وليسوا قريبين منه ، بل كفار اليهود والنصارى أعلم منهم بالأمور الإلهية ، ولست أعني بذلك ما اختص الأنبياء بعلمه من الوحي الذي لا ينال غيرهم ، فإن هذا ليس من علمهم ولا من علم غيرهم ، وإنما أعني العلوم العقلية التي بينها الرسل للناس بالبراهين العقلية في أمر معرفة الرب وتوحيده ومعرفة أسمائه وصفاته ، وفي النبوءات والمعاد ، وما جاؤوا به من مصالح الأعمال التي تورث السعادة في الآخرة ، فإن كثيراً من ذلك لم يشموا رائحتها ، ولا في علومهم ما يدل عليها ، وأما ما اختصت الرسل بمعرفته وأخبرت به من الغيب ، فذلك أمر أعظم من أن يذكر في ترجيحه على الفلسفة ، وإنما المقصود الكلام في العلوم

العقلية ، دع ما جاءت به الأنبياء فإنه مرتبة عالية»[١] .

«بين ابن سينا أمر النبوءة أنها من قوى النفس ، وقوى النفوس متفاوتة ، وكل هذا كلام من لا يعرف النبوة بل هو أجنبي عنها ، وهو أنقص ممن أراد أن يقرر أن في الدنيا فقهاء وأطباء وهو لم يعرف غير الشعراء ، فاستدل بوجود الشعراء على وجود الفقهاء والأطباء ، بل هذا المثال أقرب ، فإن بعد النبوة عن غير الأنبياء أعظم من بعد الفقيه والطبيب عن الشاعر ، ولكن هؤلاء من أجهل الناس بالنبوة ، رأوا ذكر الأنبياء قد شاع فأرادوا تخريج ذلك على أصول قوم لم يعرفوا الأنبياء»[٢] .

ويقول في موضع آخر :

«وأبعد هؤلاء عن النبوءة المتفلسفةُ والباطنيةُ والملاحدةُ ، فإن هؤلاء لم يعرفوا النبوة إلا من جهة القدر المشترك بين بني آدم وهو المنام ، وليس في كلام أرسطو وأتباعه كلام في النبوة ، والفارابي جعلها من جنس المنامات فقط ، ولهذا يفضل هو وأمثاله الفيلسوف على النبي ، وابن سينا عظمها أكثر من ذلك فجعل للنبي ثلاث خصائص : إحداها : أن ينال العلم بلا تعلم ويسميها القوة القدسية ، وهي القوة الحدسية عنده .

---

(١) الرد على المنطقيين ، ص ٣٩٤ .

(٢) النبوءات : ص ٢٢ .

والثاني: أن يتخيل في نفسه ما يعلمه فيرى في نفسه صوراً نورانية ويسمع في نفسه لا في الخارج ، فهكذا عند هؤلاء جميع ما يختص به النبي مما يراه ويسمعه دون الحاضرين إنما يراه في نفسه ، ويسمعه في نفسه وكذلك الممرور[١] عندهم.

والثالث: أن يكون له قوة يتصرف بها في هيولى العالم بإحداث أمور غريبة ، وهي عندهم آيات الأنبياء وعندهم ليس في العالم حادث إلا عن قوة نفسانية أو ملكية أو طبعية... وهؤلاء عندهم جميع ما يحصل في نفوس الأنبياء إنما هو من فيض العقل الفعال.

ثم إنهم لما سمعوا كلام الأنبياء وأرادوا الجمع بينه وبين أقوالهم ، فصاروا يأخذون ألفاظ الأنبياء فيضعونها على معانيهم ويسمون تلك المعاني بتلك الألفاظ المنقولة عن الأنبياء ثم يتكلمون ويصفون الكتب بتلك الألفاظ المأخوذة عن الأنبياء ، فيظن من لم يعرف مراد الأنبياء ومرادهم أنهم عنوا بها ما عنته الأنبياء ، وضل بذلك طوائف ، وهذا موجود في كلام ابن سينا ومن أخذ عنه»[٢].

---

(١) الممرور من غلب عليه المرة(خلط من أخلاط البدن وهو الصفراء أو السوداء وهاجت ، فهو ممرور).

(٢) النبوات: ص ١٦٨.

الفرق الأساسي بين القرآن والفلسفة في ذات الله تعالى وصفاته:

وقد أشار إلى نقطة علمية مهمة وهو يتحدث عن الفرق المبدئي بين القرآن والفلسفة في ذات الله تعالى وصفاته، يقول:

«والقرآن أثبت الصفات على وجه التفصيل ونفى عنها التمثيل وهي طريقة الرسل، جاؤوا بإثبات مفصل ونفي مجمل، وأعداؤهم جاؤوا بنفي مفصل وإثبات مجمل»[١].

توارد علمي والتقاء فكري عقائدي عجيب:

من الموافقات العجيبة والالتقاءات العلمية الدعوية العقائدية التي تثير العجب والإعجاب، ما يجده القارىء المتتبع من حدة التفكير والتوصل إلى نتيجة واحدة، والتركيز عليها، والإلحاح في سبيلها، في رسائل مصلح آخر ـ تحقق له من النجاح في تغيير مسير التاريخ وإنقاذ البلاد بأسرها من خطر الردة الدينية الحضارية العلمية الشاملة، التي تبناها واحتضنها ملك من أكبر الملوك وأقواهم إرادة وصرامة[٢] وحاول تطبيقها بجميع وسائل

---

(١) النبوات: ص ١٥٣.

(٢) وهو الإمبراطور المغولي جلال الدين أكبر (٩٦٣ ـ ١٠١٤ هـ الموافق ١٥٥٦ ـ ١٦٠٥ م) ابن الملك نصير الدين همايون بن ظهيرالدين بابر =

الحكومات وطاقاتها ، مثل ما حصل له ـ وهو الشيخ الإمام أحمد بن عبد الأحد السرهندي ، (٩٧١ ـ ١٠٣٤ هـ الموافق ١٥٦٣ م ـ ١٦٢٤ م).

وذلك إن دل على شيء فإنه يدل على أن الحق واحد ، وأن الإخلاص والتجرد في دراسة الكتاب والسنة ، واللجوء إلى الله تعالى والإنابة إليه ، والتوفيق الإلهي ضامن بالوصول إلى الحق والصواب ، واللب اللباب ، وصدق الله العظيم:

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

عجز العقل والكشف وإخفاقهما في إدراك حقائق ما وراء الطبيعة:

أثبت الإمام السرهندي ـ بدوره ـ عجز العقل والكشف وقصورهما في إدراك الأمور الغيبية ، والعلوم التي هي وراء طور العقل ، والمعرفة الصحيحة لذات الله ـ سبحانه وتعالى ـ وصفاته ، وإحراز العلم الذي لا يشوبه شك ، والحقائق الثابتة القطعية التي لا تخالجها شبهة ـ والخطأ والزلة ، وسوء الفهم

= مؤسس الحكومة المغولية في الهند ، ليراجع للتفصيل كتاب العلامة الندوي «الإمام السرهندي» الجزء الثالث من سلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام ـ ، دار ابن كثير ـ دمشق.

والتحريف ، ولا يمكن إدراك المعرفة الصحيح لذات الله سبحانه وصفاته إلا عن طريق الأنبياء والمرسلين ، وإذا كان العقل وراء طور الحس ، فإن النبوة وراء طور العقل ، ولا سبيل إلى معرفة الطريقة الصحيحة لتقديس الله وتعظيمه وتحميده وتمجيده إلا بالنبوة ، وتعاليم الأنبياء وأخبارهم[١] .

وقد وقع حكماء اليونان بهذا الصدد في زلات خطيرة ، وأخطاء فاحشة ، فكما أن العقل الخالص ، والعقل المجرد ليس له وجود ، كذلك الكشف الخالص ، والكشف المجرد ـ الذي يكون بعيداً عن التأثيرات الخارجية ، والأهواء الداخلية ـ صعب الوجود ، بل عديم الوجود ، وقد زلت أقدام الإشراقيين وأصحاب صفاء النفس وسمو الروح ، ووقعوا فريسة الأوهام والجهالات ، كما زل زعماء العقل والفلسفة ، فالعقل والإشراق لا يغنيان في الحصول على اليقين والوصول إلى الله شيئاً ، والبعثة المحمدية ، والرسالة النبوية هي الوسيلة الوحيدة لمعرفة ذات الله ـ تعالى شأنه ـ وصفاته وأحكامه .

وأعلن الإمام السرهندي في قوة ووضوح وفي رسائل كثيرة :

---

(١) ليرجع للتفصيل والاطلاع على نصوص الموضوع «رسائل الإمام السرهندي» أو كتاب العلامة الندوي : (رجال الفكر والدعوة في الإسلام ـ الجزء الثالث) طبع دار ابن كثير بدمشق .

أن من المستحيل تجرد العقل وخلوصه ، وأن العقل ـ كالحواس الأخرى ـ يتأثر بالعقائد والمسلمات الداخلية ، والعوامل والتأثيرات الخارجية ، وإن كثيراً من استنتاجاته ، وأحكامه تتلون بالألوان الخارجية التي يكون وجودها في داخله أو باطنه ، وتمتزج بها[١] .

وأثبت أن العقل قاصر عن أن يكون حجة وبرهاناً وأن بعثة الأنبياء هي الحجة البالغة ، ولا سبيل إلى التزكية الحقيقية بدون الاهتداء بهذه البعثة .

«ولكن الحقيقة ، ولب لباب العلم والعرفان أنه لا طريق إلى

(١) ومن عجيب المصادفات والدلائل على صحة نتيجة البحث العلمي الخالص ، أن الفيلسوف الألماني الشهير إمانويل كانت (Emanuel Kant, 1729 1804) بدأ ـ بعد قرابة قرنين من وفاة الإمام السرهندي ـ البحث الموضوعي ، والتحقيق العلمي في صلاحية العقل لتجرده ، وتحرره عن البيئة وعوامل الوراثة ، والعادات والمعتقدات ، والحكم الفاصل في قضية ما من القضايا ، إنه عين حدود العقل ودوائره في شجاعة ووضوح ، واستبعد وجود العقل الخالص ، ونشر كتابه الخطير «نقد العقل الخالص» (Critique of Pure Reason) عام (١٧٨١ م) ، الذي أحدث هزة واضطراباً في الأوساط الفكرية والفلسفية ، وكما يقول الدكتور إقبال: «إنه هدم أعمال المتنورين وحولها إلى كومة من تراب».

The Reconstruction of Religious Thaught óIn Islam'.

هذه الحقائق والمعارف ، إلا طريق الأنبياء ، الذين شرفهم الله ـ تعالى ـ بمنصب النبوة والرسالة ورزقهم أكبر قسط من العلم بذاته وصفاته ، وبملكوت السموات والأرض ، وأخبرهم ـ مباشرة ومن دون وسائط ـ بما يرضاه وما لا يرضاه وبما يأمره به وما ينهى عنه وجعلهم وسائط بينه وبين خلقه ، وأن نبوءتهم ورسائلهم مِنَّـة عظيمة على هذه الدنيا ونعمة ظاهرة ، وما يعطونه من علم جليل بذات الله وصفاته العليا ، وأسمائه الحسنى ـ من غير مشقة ، ودون مقابل ـ لا يمكن إحراز ذرة من ذراته بالتأملات الفلسفية والبحث والاستدلال ، على مدى آلاف السنين ، وبالمجاهدات الشاقة ، وتصفية النفس ، والمراقبة والتفكير لأعوام وسنين .

وذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يشكرون[١] .

وبالجملة فإن هذا العمل التجديدي ـ وهو التركيز على أن النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة ـ له قيمته العلمية والعملية الكبيرة والأثر البعيد في الحياة في كل زمان ومكان ، وإن كان العصر عصر الفلسفات وما بعد الطبيعيات ، أو كان عصر المدنيات والتنظيمات والسياسات ،

---

(١) الفكرة مقتبسة من رسائل الإمام السرهندي .

كما هو الشأن الآن ، فإن الحياة لا تصلح ولا تستقيم إلا في ضوء الهداية السماوية والتعليمات النبوية ، وصدق الله العظيم :

﴿ قَدْ جَاءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ .

[المائدة : ١٥ ـ ١٦]

* * *

مطالبة القرآن للمسلمين
بالانقياد التام والاستسلام الكامل

نبدأ هذه الدراسة بقوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدْخُلُواْ فِي ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾

[البقرة: ٢٠٨ ـ ٢٠٩]

وإنما أوردت هذه الآية من القرآن الكريم لأنها تشتمل على إنذار وتحذير، هل يتصور أحد أن يحارب الله ويعاديه، فما معنى هذا الإنذار والتحذير، فهل يقدر عبد من عباد الله على أن يحارب الله؟ ولكن القرآن الكريم قد استخدم كلمة تتضمن هذا المعنى، وهو ما تقشعر منه الجلود، وتتصكك لها الآذان، يقول الله ـ عز وجل ـ وهو خالق الكون، ومالك الملك والقادر على الإطلاق، والذي أنعم فأجزل على عباده: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً﴾ فإنه لا قبل لكم أن تحاربوه، وتبارزوه وتعادوه.

يتبادر إلى الذهن باديء ذي بدء أن تستخدم كلمة «الإسلام» في موضع السلم، وهو «ادخلوا في الإسلام كافة» ولكنه أمرهم بالدخول في «السلم» كافة، وهي أن تكون المعاملة مع الله معاملة استسلام وانقياد، وخضوع كامل، بجميع معاني هذه الكلمات ومقتضياتها ومضموناتها: العقائد، والعبادات، والسلوك الفردي والاجتماعي، وجوانب الحياة كلها، موافقة ما جاء به سيد المرسلين ﷺ، من عند الله رب العالمين، ومطابقة للأوامر الإلهية والأحكام الربانية، ولا تكون العلاقات مبنية على الموالاة لأعداء الله والخضوع لأوامرهم.

إن كلمة الإسلام في اللغة العربية مشتقة من «السلم» ومعنى الإسلام هو الانقياد، والاستسلام، والتنازل عن كل شيء في حق الله تعالى وأوامره وتعاليمه عن الأهواء والشهوات، وعن المصالح والأغراض، وعن الشعور بالتمييز بين المنافع والمضار، والاطراح على عتبة الأحكام الربانية بالانقياد التام والاستسلام الكامل.

أما معنى السلم، فهو الصلح، يقول الله عز وجل في موضع آخر: ﴿۞ وَإِن جَنَحُوا۟ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١] وجاء:

«أسالم من سالم، وأحارب من حارب» وقد استخدم القرآن

الكريم في مواضع مختلفة كلمات تعبر عن الرعب والجلال والهيبة تنذر وتزلزل ، يقول عن الربا:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَذَرُوا۟ مَا بَقِىَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾. [البقرة: ٢٧٨ ـ ٢٧٩]

وجاء في الحديث القدسي: «من آذى لي ولياً فقد آذنته بالحرب» فإنه من المستبعد والمستحيل أن يكون هناك شقي يدور بخلده أن يحارب الله ويعاديه ، ولكن دراسة نفس الإنسان وتجارب الحياة الإنسانية والأعمال التي تصدر نتيجة لإغفال التعاليم النبوية ، تدل على أن هناك إمكانية لمثل هذه المعاداة ، فيمكن أن يدعي الرجل الإسلام ، ويعترف بعبديته ، ثم يعادي ربه في بعض أموره ويخالفه في بعض أحكامه ، فمثلاً يقيم عبد من عباد الله علاقة العبودية مع الله ـ ولكن بشيء من التحفظ ، ويشرك رضاه وهواه ـ في هذه العلاقة ، أن يشهد أن الله حق ، وأن الحساب حق والحشر حق ، ولكنه يعيش باستقلال وحرية في الحياة الاجتماعية والأسرية ، وفي الثقافة والمبادىء العامة ، وفي العلاقات مع الأقارب والأصدقاء ، والمعاملات التجارية ، فلا يقبل الله هذه العلاقة المتحفظة المشروطة ، فكأن هذه الآية نزلت لإيضاح تلك النكتة ، وفيها عبرة وجرس إنذار لأصحاب مثل هذه العلاقة بالله ، إن الله يقول: ﴿ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً ﴾

فإن المشاطرة في هذا المجال غير مقبولة أن يقول القائل: أقبل هذا ولا أقبل ذاك ، أستسلم لهذا ولا أستسلم لذاك ، إن الداخل في المسجد يدخل المسجد بكل جسمه وبكل أعضائه ، فإذا قال القائل إنه يضع قدميه داخل المسجد ، وأما جسمه فيكون خارج المسجد ، أو أنه يطرق رأسه في داخله ويبقى جسمه في خارجه ، أو قال: إذا أمرتني بالقيام فعلى الرأس والعين ، ولكن لا يمكن لي الركوع والسجود ، فإني أرى فيه إهانة للإنسانية وأشعر بالخيبة والفشل ، وتنازلاً عن الاعتزاز والثقة بالنفس ، فإن هذه العبادة لا تستحق أن تسمى بالصلاة ، بل هي كلمة فيها كفر وجحود ، وطريقة فيها طغيان وبغي.

إننا نحن المسلمين تعودنا الطمأنينة والتزكية لتلك الحياة التي نقضيها في هذه الأرض المقدسة ، نريد أن نسمع كلمات التهنئة والتقدير والغبطة ، وإن آذاننا تصغي إلى أصوات الترحيب من كل جانب ، نريد أن نسمع يا مرحباً! يا مرحباً ، يا للسعادة!! ندعو الله أن يرزقكم الدوام والهناء في هذه الأرض المباركة ، فأنتم قد حالفتكم السعادة ولا شك في هذه السعادة.

وقد تمنى آلاف من الأولياء المقبولين أن يصلوا إلى هذه الأرض المقدسة ويتشرفوا بزيارتها.

إن الإمام الهمام المجاهد الكبير الذي اعتنق على يديه أربعون ألف شخص الإسلام ، وبايع على يديه المباركتين ثلاثة ملايين

شخص مباشرة ، وعاهدوا على اتباع الشريعة ومجانبة الكفر والشرك والبدع ، وعلى الجهاد في سبيل الله ، وأما الذين بايعوا على يدي تلاميذه وخلفائه ، فلا يعد عددهم ولا يحصى ، ولا يعلمهم إلا الله ، ولم يكن له نظير في الدول الأخرى في التأثير والكمالات العملية والعلمية ، وقد وصل آلاف مؤلفة من العلماء وعامة الناس إلى المراتب العلية والمقامات الرفيعة على يديه ، خلال رحلته الأولى للحج والزيارة ـ وكانت الرحلة في تلك الأيام بالسفن الشراعية ـ خاطبه أحد رفاقه بقوله : هذه جزيرة العرب ، هذه هي النخلة تبدو من بعيد ، وأومأ إليها ـ لا يعرف أحد أي موضع كان ذلك الموضع من جزيرة العرب ، وكم كان بعيداً عن تلك البقعة المباركة التي أصبحت جزيرة العرب من أجلها محببة لدى النفوس وأثيرة في القلوب ـ فعيل صبره بعد سماع هذه الكلمات ، وخر لله ساجداً ، وركع ركعتين ، شكراً لله تعالى وكان على الوضوء ، ثم قال: الشكر لله الواحد الأحد الصمد الذي أكرمنا بزيارة هذه الأرض المقدسة ، وقد انتقل إلى رحمة الله كثير من العباد والزهاد وبقيت الأماني في قلوبهم لزيارة هذه الأرض المقدسة كما كانت ، ولم تتح لهم فرصة لوضع أهداب العيون على أراضيها الطاهرة وغسلها بدموعهم الحارة ، ـ فإنكم تقولون لو بشرتنا ورحبت بنا ودعوت لنا ليطول بنا القيام في هذه الأرض المقدسة لكان أفضل من أن تنذرنا وتخوفنا وتأتي بمثل هذه الآية التي يخاطب الله عز وجل بها المؤمنين بأن أمرنا

ليس كأمر السلاطين والملوك في الدنيا الذين يقتنعون بشيء من المكوس التي تؤدى إليهم ، وبشيء من التوقير والتبجيل الذي يسدى إليهم من رعاياهم ، وبشيء من الخضوع الذي يكون لأبهتهم الملوكية ، وقدر المقادير والآجال ، وبيده الأمر كله من إنشاء المرض والصحة وإيصال النفع والضرر ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

والتاريخ يشهد بأن الحكومات التي طبق صيتها الخافقين والتي يتفاءل بأربابها الذين بهم ينقلب التراب تبراً ، وفي ظلالهم ينقلب الشؤم تفاؤلاً وسعداً ، غربت شموسها في طرفة عين وجعل الله عز وجل هذه الشموس آفلة لم تطلع بعد على مر الدهور والأعصار ، إن تاريخ روما الكبرى يشهد كما جاء في كتاب جبون «زوال وسقوط روما» كيف كانت هذه الدولة ، وكيف كانت عظمتها وهيبتها على النفوس ، سقطت كما تسقط أوراق الخريف.

قلبوا صفحات تاريخ الدولة الساسانية كيف كان عهد مجدها ، وتقلب ملوكها في البلاد ، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ١٩].

يقول الله تعالى إنه لا يجدر الاكتفاء بالصلاة والسجود لله وبذكر اسمه تعالى فقط حتى تظن أن الله لا يسأل عن الأمور الأخرى شيئاً ، فإنه يتحتم عليك أن تدخل في العبودية الكاملة لي

من غير استثناء ولا يقبل أن تقول: إنه لي وهذا لك ، إنما لي كل شيء ، إن مالك وعرضك ، صحتك وجسمك ، رأسك وبدنك ، إيمانك وإسلامك ، وفاءك وفداءك ، كله من حقوقنا فإنه لا طاعة لأحد إلا لله وبما شاء الله.

تتضمن هذه الآية التي أوردناها إنذاراً شديداً وتحذيراً عنيفاً ، ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ ﴾ [البقرة: ٢٠٨] فإن كلمة «كافة» كلمة شاملة جامعة ، أي استسلموا لأوامره كلها ، برمتها ، واستسلموا أنتم جميعاً كذلك له ، فلا يمكن أن ينقاد أحدكم ولا ينقاد الآخرون ، أو أن يطيع أحدكم في بعض الأمور ويعصيه في أمور أخرى ، بل كلكم لنا ، وكل مالكم لنا فأطيعوني إطاعة كاملة ، فتكون عقائدكم موافقة بما جاء به الله ورسوله موافقة تامة دون أي انحراف ، أو عدول ، فليس لأحد الأمر في هذا الكون؟ ألا له الخلق والأمر ، واعلموا أنه بيده الخلق والأمر ، والصحة والمرض ، وبيده الرزق ، والقوة ، وهو المعز ، وهو المذل ، وهو الرازق ، وهو الذي يؤتي الملك والقوة ، والغنى ، بيده الخير كله ، وهو على كل شيء قدير ، لا شريك له في خلقه وأمره ، وفي ملكه ، لا نبي ولا ولي ، وهو القادر على الإطلاق ولا يجرؤ على الشفاعة عنده أحد إلا بإذنه ، وكذلك يجب أن تطيعوا الرسول ﷺ طاعة كاملة ، فالذين يطيعونه في أمور ويعصونه في أمور ، فإنهم ليسوا من المطيعين

للرسول في نظر القرآن ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب : ٣٦] فإذا عرف بسند صحيح ، وطريقة صحيحة معتمدة أنه قول رسول الله وفيه رضاه فلا خيار لأحد فيه ، ولا حرية ، ولا تردد فيه ، إلا أن يطاع الرسول ﷺ ويتبع قوله ، ويؤخذ به ، ويعض عليه بالنواجذ .

إن العقائد سليمة صحيحة ، والمسلمون يؤدون الصلوات والفرائض ، ولكن المجتمع مع الأسف الشديد يميل إلى الفساد ، وأصبحت الحياة المنزلية معاكسة للإسلام ، كل بيت مؤثث بغاية من الإسراف والتبذير ، والترف والبذخ ، وبالأمتعة المسلية الملهية كالفيديو الذي أصبح الشغل الشاغل وحديث المحافل ، إننا نحن المسلمين مؤمنون في المساجد لا شك ، ولا يستطيع أحد أن يقول شيئاً عن المساجد ، وهي بيوت الله .

إن المسلم لا يكون فقط مسلماً في المسجد ، إن المسلم يعيش مسلماً في بقاع المعمورة وأرجائها في برها وبحرها ، وفي قمرها إذا وصل ـ وقد وصل إليه بعلم الله وتيسيره للإنسان ـ وهو عبد من عباد الله ، وقد أجمع العلماء على أنه لا يسقط التكليف عن أحد ، ولا عن الأنبياء والمرسلين ، والتكليف معناه اتباع الأمور الشرعية ورعاية حدودها ، وجاء في الآية الكريمة ﴿ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴾ [الحجر : ٩٩] وقد أجمع المفسرون على أن اليقين هو الموت ، فواظب الرسول ﷺ وداوم على

الصلوات إلى حين وفاته ، وكان لا يزال يسأل ـ ﷺ ـ: هل صلى الناس؟ قيل: يا رسول الله ، هم ينتظرونك ، فقال: ضعوا لي ماء في المخضب ، ففعلوا ، فاغتسل ثم ذهب لينوء فأغمي عليه ، ثم أفاق ، فقال: أصلى الناس؟ قالوا: لا ، هم ينتظرونك يا رسول الله! والناس عكوف في المسجد ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى أبي بكر بأن يصلي بالناس ، ثم صلى الرسول ﷺ نفسه ، وقد ثبت سؤاله في هذا الوقت ووصيته بالصلاة ، وبالعبيد ، وبالأنصار ، ثم كانت آخر كلمة تكلم بها رسول الله ﷺ «اللهم الرفيق الأعلى» .

وقد بلغ بنا نحن المسلمين الحال إلى أن العقائد إذا كانت صحيحة وسليمة كانت العبادات ناقصة سقيمة ، وإذا سلمت العقائد وصلحت العبادات كلتاهما ، كانت في المعاملات خنادق كبيرة ، ليست ثلمة واحدة ولا خلل بل خنادق وفجوات وخلجان هائلة .

إن هناك خلجاناً وفجوات بين الإسلام والمسلمين في العقائد والعبادات ، فكم من المسلمين الذين ينطقون بالشهادتين ، ولكن لا علاقة لهم بالصلوات ؟! ومنهم من إذا صلحت عقائدهم وعبادتهم ، ولكنهم يخرجون المعاملات ، والأخلاق والمثل عن حياتهم ، يكذبون ، ويخونون ، ينقصون المكيال والميزان ، يغشُّون ويحلفون الزور لترويج متاجرهم وسوقهم ،

ويغتصبون حقوق الآخرين ، فلا يأخذهم الحياء ، ولا الغيرة؛ لأنهم لا يعدونها من الدين.

وكم منهم من لا يرعى حقوق الوالدين ، ويدوس حقوق الأهل والعيال ، ولا علاقة لهم بالجيران ، فلا صدق في قولهم ولا حلاوة في لسانهم ، يشكوهم من يسكن حولهم من الجيران أو على الأقل لا يشكرهم لأجل صنيعهم.

وكم منهم من لا يفرق في السياسة والمعاملات بين عدو الله وخليله ، ولا يميز بين الخير والشر ، ولا بين الصالح والفاسد ، ولا بين المتدين والملحد ، وقد قال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ ﴾ [هود: ١١٣] أي لا تميلوا إليهم، وقد استخدم القرآن لفظ الركون وهو أدنى الميل ، فضلاً عن الموالاة والمناصرة ، فلا تركنوا ولا تميلوا إلى الذين جعلوا الظلم شعارهم ، وتخطوا حدودهم وجاوزوا خط الاعتدال ، وداسوا كرامة الحقوق ، وجعلوا الدنيا أكبر همهم ، ومبلغ علمهم ، وتجردت قلوبهم من خشية الله ، وهم أصبحوا عبيد المال والثروة ، عبيد الدرهم والدينار ، عبيد القطيفة والخميصة ، عبيد الجاه والمنصب ولا يهمهم إلا شأنهم، إن كلمة «ظلموا» تشمل هذه الأمور كلها، ولعل هذه الآية تكون جديدة في حق بعض المسلمين ، إنها لم تنهانا عن المبايعة على يديهم والخضوع أمامهم ، بل نهتنا عن الركون والميل القليل إلى

هؤلاء الذين جعلوا الظلم سمتهم وشعارهم.

فكم من المسلمين من لا يعتبر هذه الأمور جزءاً من الدين، إنهم يقولون: إن هذه الأمور من الحياة، ولا علاقة لها بالدين، فهات ما عندك من نصائح دينية، ولو تكرمت ببيان ما هو الأجر والثواب في قراءة هذه الأوراد أو تلك وهذه الأدعية، لكنت جديراً بها، وأطعناك فيها، أما مظاهر الحياة والسلوك فنحن أحرار فيها، نفعل فيها ما نشاء، لا نفكر بما يلحق الضرر بنا أو بديننا إذا قمنا بموالاته، ولا نكترث بما يأتي به التعسير في سبيل الدين أو يحدث نقص فيه إذا قمنا بمعاداته، فإننا نزعم أنه لا علاقة لهذه الأمور بالدين.

نحن عباد الله في الأمور كلها، فينبغي لنا أن نكون ممتثلين للأوامر الإلهية ومتمسكين بها كلياً، وكذلك يجب أن نكون مهتمين بإخواننا المسلمين، وأن ندعو لعلو الإسلام وغلبته في العالم وننصره بفكرنا وجهدنا، فلا يجدر بنا أن نكون من العباد الزاهدين ومن المتدينين المتشرعين من غير الاهتمام بأمر الإسلام والمسلمين، فلا يهمنا أمر المسلمين أين يذهبون، وأين يروحون، وكيف يمتحن الإسلام، وما هي القضايا التي يعاني منها المسلمون، وما هي الدول التي أصيب فيها الإسلام بالانحطاط؟ وقد جاء في الأثر: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم»، «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم

كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

إن شجرة الإسلام التي نراها قائمة على قدم وساق ، تورق وتثمر رغم المراحل الصعبة والعقبات التي اجتازتها ، ترجع إلى هؤلاء الدعاة المصلحين ، ونحمد الله عز وجل على بقائها وازدهارها ، لا بد أن نوجه اهتمامنا إلى قضايا بلادنا الإسلامية ومؤسساتها الإسلامية ، وأن نفكر في مسألة الجيل الناهض وبقائه على إسلامه ، وأن ندبر خطة لصيانة أولادنا ولكن لا ينبغي لأحد أن ينسى مولده ووطنه وأقاربه وذويه.

يجب علينا أن نوجه اهتمامنا إلى تلك الملة الإسلامية التي تعيش في أوطاننا وإلى إيمان النشء الجديد ، وأن نهتم بما يحيط بهم من تحديات ، ويُخطط لهم من برامج يشاهدونها على الشاشة ، فإن مسلسلات رامائن استمرت شهوراً ، وقد أخبرني شاهد عيان أنه رأى في مدرسة أن المصاحف بقيت مفتوحة وهي موضوعة على كراسيها ، والطلبة غائبون ، وعندما سئل أساتذتهم: أين ذهب الطلبة؟ قالوا: اليوم يوم الأحد وهو موعد الرواية المسلسلة لرامائن ، هذه قصة ولاية «بيهار» التي أنجبت العلامة محب الله البهاري[١] ، الذي رأس العلماء ، وأستاذ

---

(١) مؤلف كتاب «مسلم الثبوت» في أصول الفقه، «وسُلَّم العلوم» في =

العلماء ، وإمام العلماء ، وكم أنجبت هذه الولاية من العلماء الربانيين !

لا بد أن يكون اهتمامنا ببلادنا اهتماماً فكرياً ، لا أقول أن يكون هذا الاهتمام اهتماماً اقتصادياً فحسب ، بل يكون عقلياً.

إن هذه الأرض قد أنجبت مجددين للدين لم تنتفع بهم الهند فحسب ، بل نفع الله بهم العالم ، أستطيع أن أقول في ضوء التاريخ أن الإمام الشيخ أحمد بن عبد الأحد السرهندي ، المشهور بمجدد الألف الثاني بلغ نفعه إلى تركيا ، ولم يزل تلاميذ تلاميذه موجودين فيها ، سافر الشيخ خالد الرومي إلى دهلي ـ وقد قيد قصته ـ فيقول: إني سألت القافلة التي جاءت من الهند حينما كنت في مكة المكرمة أيام الحج ، عن الشيخ الكبير غلام علي النقشبندي ، فأبدوا عدم معرفتهم فقضيت العجب منهم على أنهم لا يعرفون مثل هذا العالم الرباني الجليل ، فسافر إلى دهلي ، وأقام عنده مدة من الزمن ، وقرض قصائد مدحية له في العربية والفارسية ، ورجع من الهند بعد إكمال مقصده وبغيته ، فاستقبلته بلاد العراق على بكرة أبيها ، وتقاطر العلماء عليه كتقاطر الفراش والهوام على النور للحصول على تلك

= المنطق، وقد عكف علماء الهند على تدريسهما وشرحهما. واعتنى علماء الأزهر بكتاب «مسلم الثبوت» تدريساً واستفادة.

السعادة التي أتى بها من الديار الهندية ، والاستنارة بذلك النور الذي اكتسبه فيها ، وساقه إلى بلاده ، هذه هي بلادكم فلا تغضوا البصر عنها .

إن من أولى الأوليات أن تكون ثقتكم قوية بأن هذا الدين كامل العقيدة فاستمسكوا بها ؛ لأن الانحراف عنها كالارتداد عن الدين ، واظبوا على تلك الفرائض المعينة لأنه لا تكون الشقاوة أكثر منها من أن تقيموا هناك من غير أداء الصلوات والمواظبة عليها ، ويتحتم عليكم كذلك أن يكون مجتمعكم إسلامياً حتى لا يكون من المعقول أن تقيموا في هذه الأرض المقدسة ، ويجري التلفزيون في بيوتكم كل وقت يراه أولادكم في أوقات الصلوات ، يقول الله تعالى : ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان : ٦] يبدو أن القرآن ترك هذه الأسماء الفيديو ، والتلفزيون ، لأنه في لسان عربي مبين لا يمكن الإتيان بكلمة إنجليزية ، لكن من الإعجاز القرآني العجيب أن الكتاب الذي نزل قبل أربعة عشر قرناً أشار إلى ما ينطبق على الجهاز المستعمل اليوم ، ولو قلت : إنه يعني الفيديو ، والتلفزيون لما أخطأت ؛ لأنه قال فيه ﴿ مَن يَشْتَرِى لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾ فإن المتذوقين باللغة العربية وبلاغتها في كل بلد يتذوقون بـ «لهو الحديث» . إن الذوق الأدبي يسوق إلى آفاقها وأبعادها ، فإنه يصعب عليَّ أن أترجم هذه الكلمة إلى اللغة الأردية بالضبط ، رغم كوني من

أبنائها وأصحابها ، ما هي وظيفة الفيديو ، والتلفزيون ، وما يشغلهما؟ إذا كان أحد يعجبه اللعب يشتريه ، فهل لا تدخل فيه هذه الأجهزة: الفيديو ، والتلفزيون ، التي قيل لها «لهو الحديث» ولو ادعيت أن القرن الأول والثاني إلى السابع والثامن ، حتى لو قلت إن ذهن أكبر عالم في العصر الماضي لم ينتقل إليه لما أخطأت.

وهذا من الإعجاز القرآني ، ما هو «لهو الحديث»؟

هذه المسلسلات المرئية والتصاوير الناطقة ، والأصوات المسجلة كلها من «لهو الحديث» هل كان في استطاعة أحد أن يتصور قبل أربعة عشر قرناً مثل هذه الجهاز حينما لم يحلم به أحد فضلاً عن اختراعه وإبداعه ، ولكن كتاب الله قد قال إن هناك رجالاً يشترون «لهو الحديث» وهو اللهو الذي لا يحصل للإنسان ولا يملكه إلا بالشراء وبذل النقود.

قوا أنفسكم وأهليكم منها ، وصونوا بيوتكم على الأقل ، يجب أن تكونوا مسلمين كاملين في الإسلام عقيدة وسلوكاً ، وإذا ما بلغتم الكمال هنا ، فمن أين يأتي إليكم الكمال ؟!

فإذا رأى غير المسلمين المؤمنين شهدوا أنهم من بيئة صالحة مباركة؛ لأن سيماهم في وجوههم من النور ، وحلاوتهم في نطقهم من العسل ، والاحترام والحرمة في عيونهم من الحياء والحشمة؛ لأنهم تحَلَّوا بالإيمان لا أن يعرفوهم ويميزوهم بما

يملكون ، فإذاً لا بد أن يعرفكم هؤلاء بسيما وجوهكم وآثار سجودكم ، ونور جباهكم ، وحلاوة نطقكم ، ونصحكم لا من ملابسكم. ولا بد أن تتغير أجواء بيوتكم ويتأثر بكم أهلكم وعيالكم حتى تجري فيها تلك السنن النبوية التي لم تكن باقية فيها وأن تتلى فيها الآيات القرآنية.

وحيثما رحلتم ، فكما أن النور يبدد الظلمات وتتقشع السحب الكثيفة به ، تظهر صوركم كالأضواء النيرة في بحر الظلمات ، لا بد أن تتغير حياتكم قبل الرحيل.

فهل عرفتم كم من الناس دخل في الإسلام بعد صلح الحديبية في أربع سنوات ما بين فتح مكة وحجة الوداع ، يقول الإمام الزهري: إنه لم يسلم في مكة المكرمة في ثلاث عشرة سنة وفي المدينة المنورة في عشر سنوات مثلما أسلم في فترة صلح الحديبية ، فيبين سبب هذا الإسلام أن الباب فتح عليهم بعد صلح الحديبية فجاء رجال من قريش من مكة المكرمة إلى أقاربهم في المدينة المنورة فشاهد أهلهم لياليهم فتحيروا قالوا إنهم في عالم غير ذلك العالم ، إنهم يستيقظون مبكرين ومعهم صبيانهم لا يعرفون اللغو فضلاً عن الكذب ، لا ينطقون إلا بذكر الله ورسوله ، إنهم يطعمون أضيافهم إيثاراً وينومون أطفالهم جائعين ، فتسارعوا إلى الإسلام لأنهم شاهدوا صورة الإسلام النيرة بأم أعينهم.

يجب أن ينتشر بنا الإسلام في أنحاء المعمورة بالمراسلات الخطابية وبالعلاقات الأخرى وبالأخلاق الإسلامية الصحيحة ، فإذا شاهدوا ذلك كان أثره على غير المسلمين طيباً ليتأكدوا أنكم جئتم ببركات ورحمات ، ورافقتكم نفحاتها الطيبة المباركة .

ينبغي أن ترسم هذه الآية الكريمة على ألواح قلوبنا : ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [البقرة : ٢٠٨ - ٢٠٩] إن القرآن الكريم أتى بلفظ «خطوات» جمعاً ، ما يشير إلى كثرتها ، فتشمل الأمور الاعتقادية ، والتعبدية ، والأخلاقية ، والثقافية ، والسياسية ، ولو كان مجتمعنا خالياً عن هذه الأمور لما وقع الفساد والفوضى الذي يقع في كثير من المجتمعات ؛ لأنه لم يبق فرق بين الصالح وغير الصالح ، بين التدين وغير التدين ، وبين أن ينهج المنهج الشرعي وينهج المنهج غير الشرعي .

* * *

المجتمع الإسلامي المعاصر فضله وقيمته ، حاجته ومتطلباته ، وطريق الانتفاع به

استعراض المجتمع الإسلامي في ضوء الواقع :

إنه لمن الأهمية بمكان أن أعالج هنا موضوع : «المجتمع الإسلامي المعاصر» ووضعه الحاضر ، وما يحتاج إليه في عودته إلى الصفة اللائقة به ، وقدرته على القيام بدوره في العالم المعاصر ، وأداء رسالته التي يفتقر إليها العالم المعاصر أشد افتقار ، ولعدم وجودها ـ كما ينبغي ـ اختل الميزان وامتحنت البشرية بأزمات أفقدت قيمتها وهددتها بالفناء العاجل أو الآجل .

واقعان يبدوان متناقضين :

إننا إذا تحدثنا عن المجتمع الإسلامي المعاصر ، فلا بد أن ننظر بعين الاعتبار إلى واقعين يبدوان متناقضين ، ولكن لا بد لنا أن نضعهما في الاعتبار ، ونعطيهما حقهما من الاستعراض

الأمين والحكم المنصف ، حتى يكون كلامنا والنتائج والمقترحات التي ننتهي إليها ، في ضوء الواقع العملي والحقائق الراهنة .

الفارق الأساسي بين المجتمع الإسلامي المعاصر والمجتمعات غير الإسلامية المعاصرة :

إن الواقع الأول هو أن المجتمع الإسلامي المعاصر ، هو المجتمع الوحيد الذي لا يزال محافظاً على الخيط الذي يربطه بتعاليم السماء ، وبالرسالات عامة والرسالة السماوية الأخيرة التي ختمت بها النبوات خاصة ، والإيمان بالحياة بعد الموت ، والحساب والجزاء يوم الآخرة ، والإيمان والاحتساب والطمع في الأجر والثواب ، والإجلال لكثير من المثل والقيم التي جاءت في التعاليم السماوية ، وتمثلت أظهر تمثل في السيرة النبوية المحمدية ـ على صاحبها الصلاة والسلام ـ وفي حياة خلفائه ، وخريجي مدرسة النبوة ، يجعله هذا الخيط لا يرتاح إلى الحياة الجاهلية ارتياحاً كلياً ، والإخلاد إلى مثلها وقيمها إخلاداً تاماً ، ولا يزال هذا الخيط الرباني يربطه بما وراء هذا العالم المادي ويميزه ـ بعض التميز ـ عن المجتمع الجاهلي العالمي المعاصر ، وذلك حين تقطع هذا الخيط في حياة كل مجتمع ديني يوجد على وجه الأرض، من أعرق ديانة في القدم، كالبوذية ، والزردشتية، إلى متأخرة في الزمان بعض التأخر ، كاليهودية والنصرانية .

مصدر قوة خارقة للعادة ، والوسيلة الأقوى للبعث الجديد :

إن الشعوب المسلمة ـ رغم جميع معايبها وجوانب الضعف فيها ـ لا تزال تحمل بقايا تلك العاطفة الفياضة الجياشة من الإيمان والحنان ، والتضحية والإيثار والطاعة والانقياد ، والحب والإخلاص ، التي اتصفت بها هذه الأمة في القديم ، والتي لا توجد في أي أمة مادية على ظهر الأرض ، إن جماهير هذه البلاد الإسلامية ـ رغم جهلها المؤسف وتأخرها المؤلم ـ خامات بشرية ممتازة تصنع منها نماذج إنسانية جميلة ، وطراز رفيع من البشر ، إن أكبر قوتها الإيمان والإخلاص ، والبساطة والحماس ، وهذه القوة لعبت دوراً خطيراً في التاريخ ، وصنعت العجائب ، وأتت ببطولات وخوارق تدهش لها العقول ، وهي التي أنقذت هذه الدول الإسلامية وأمسكت بيدها في كل وقت عصيب ولحظة حاسمة ، فيجب علينا ـ بناء على مجرد حب الواقعية والحقيقة ـ أن نقدر هذه القوة الكبرى حق قدرها ، ونعتبرها أضخم رصيد وأمضى سلاح ، وأقوى وسيلة للمحافظة على سلامة البلاد ، وأداء أي واجب كبير ودور خطير على مسرح العالم .

إن وجود هذا الخيط الإيماني الذي لم يزل ولا يزال يربط المجتمع الإسلامي بفاطر هذا الكون ومدبِّره ، ومُجازي الخلق على الإحسان والإساءة ، وبخاتم الرسل ـ عليه الصلاة والسلام ـ

ربطاً عقدياً وعاطفياً ـ على تفاوت قليل في الضعف والقوة والخفاء والظهور ـ كان ولا يزال مصدر قوة كامنة هائلة لا يقوم مقامه السحر البياني والإقناع العقلي والإغراء المادي ، وخضوع لقيادة أو قوة سياسية ، وامتلاك قوة حربية ، ووسائل الإعلام والتربية الجبارة ، قد صنع العجائب ، وأظهر المعجزات التي احتار في تعليلها وتحليلها المؤرخون الأذكياء والفلاسفة النبغاء في القديم والحديث.

توفق قادة المجتمع الإسلامي الماضين في استخدام هذه القوة ، وعدم انتفاع القادة العصريين بهذه الثروة والطاقة:

وقد كان حكيماً وموفقاً كل التوفيق من قادة قسم من أقسام هذا المجتمع الإسلامي ومجموعة من مجموعات هذه الأمة الإسلامية ، من استخدام هذا الخيط وحقق بتحريكه من المرامي البعيدة ، والأهداف العويصة ، ما لم يكن يتوقع ويقاس ، من انتصار على قوة حربية كانت النسبة بعيدة بين ما كان يملك من قوة وبين ما كان يواجهه ، واسترداد ملك مغصوب أو دولة زائلة ، وانتصاف من عدو قاهر ، ومنافس غلاب.

نضيف إلى ذلك ما تحقق من النجاح الباهر ، ووقوع ما كان يعتبر شبه مستحيل ، لزعماء الإصلاح ورافعي راية الدعوة والكفاح ، وإثارة الإيمان والشعور في الجماهير المسلمة ، ومحاربة الحياة الجاهلية ، وعبادة النفس والشهوات ، والجمود

والركود ، والبطالة والفسولة ، من المصلحين الكبار والعلماء الربانيين والشيوخ المربين الذين اعتمدوا في دعوتهم الإصلاحية وفي «استراتيجيتهم» الدعوية على تحريك هذا الخيط ، والانتفاع به ، في تحقيق مخططاتهم الدقيقة وأهدافهم الإصلاحية البناءة البعيدة المدى[1] .

وعدم وجود هذا الخيط الإيماني الذي يربط المجتمع غير الإسلامي بفاطر هذا الكون ، وبتعاليمه التي جاء بها الأنبياء في عصورهم ، وتضمنتها الصحف السماوية القديمة التي تناولتها بعد يد التحريف ، وفقد الكلمات الدينية ، والحث على مخافة الله تعالى وخشية الحساب والكتاب في الآخرة ، والطمع في الأجر والثواب عند الله ، الكثير من قيمتها وقوتها ، وأثرها على النفوس والعقول ، بل أصبحت في كثير من المجتمعات غير الإسلامية ، كلمات مجهولة المعاني مثيرة للاستخفاف والاستهزاء ، جعل عمل الدعوة إلى الله ، والمجازفة بالنفوس ، والمنافع المادية ، والثورة على الأوضاع الفاسدة ، والقيم والمثل المزيفة ، من أصعب الأعمال في هذه المجتمعات وأطولها طريقاً وأقلها نتيجة وعائدة ، زهد فيه كبار القادة وزعماء

---

(١) ليرجع لبعض التفصيلات والأمثلة إلى كتاب العلامة الندوي «رجال الفكر والدعوة في الإسلام» (١ ـ ٢ ـ ٣ ـ ٤) طبع دار ابن كثير بدمشق.

الإصلاح والتلقين من فساد المجتمع ، فلم يطمحوا إلى قلب الأوضاع على أساس متين ثابت عميق .

تصوير المجتمع الإسلامي وتنويه بما يمتاز به :

وقد أحسن شاعر الإسلام الأكبر الدكتور محمد إقبال التعبير عن هذه الحقيقة على لسان أكبر عدو منافس ، وأعظم معارض بصراً بهذه الأمة وحذراً منها ، يقول محمد إقبال في قصيدته «برلمان إبليس» يحكي حديث رئيسه النهائي :

«إني لست خائفاً مما نوهتم به من مذاهب سياسية واقتصادية وفكرية ، كالشيوعية ، والملوكية ، والديمقراطية ، والإلحادية ، ولكني أخاف أمة لا تزال شرارة الحياة والطموح كامنة في رمادها ، ولا يزال فيها رجال تتجافى جنوبهم عن المضاجع ، وتسيل دموعهم على خدودهم سحراً. لا يخفى على الخبير المتفرس ، أن الإسلام هو فتنة الغد وداهية المستقبل ليست الاشتراكية .

أنا لا أجهل أن هذه الأمة قد اتخذت القرآن مهجوراً ، وإنها فتنت بالمال وشغفت بجمعه وادخاره كغيرها من الأمم ، أنا خبير بأن ليل الشرق داج مكفهر ، وأن علماء الإسلام وشيوخه ليست عندهم تلك اليد البيضاء التي تشرق لها الظلمات ، ويضيء لها العالم ، ولكني أخاف أن قوارع هذا العصر وهزاته ستقض

مضجعها وتوقظ هذه الأمة وتوجهها إلى شريعة محمد (ﷺ) إني أحذركم وأنذركم من دين محمد (ﷺ) حامي الذمار ، وحارس الذمم والأعراض ، دين الكرامة والشرف ، دين الأمانة والعفاف ، دين المروءة والبطولة ، دين الكفاح والجهاد ، يلغي كل نوع من أنواع الرق ، ويمحو كل أثر من آثار استعباد الإنسان للإنسان ، لا يفرق بين مالك ومملوك ، ولا يؤثر سلطاناً على صعلوك ، يزكي المال من كل دنس ورجس ، ويجعله نقياً صافياً ، ويجعل أصحاب الثروة والملاك مستخلفين في أموالهم[1] ، أمناءَ لله ، وكلاء على المال ، وأي ثورة أعظم ، وأي انقلاب أشد خطراً مما أحدثه هذا الدين في عالم الفكر والعمل ، يوم صرح بأن الأرض لله ، لا للملوك والسلاطين ، فابذلوا جهدكم أن يظل هذا الدين متوارياً عن أعين الناس.

وليهنكم أن المسلم بنفسه هو ضعيف الثقة بربه ، قليل الإيمان بدينه ، فخير لنا أن يبقى مشتغلاً بمسائل علم الكلام والإلهيات ، وتأويل كتاب الله والآيات ، اضربوا على أذان المسلم ، فإنه يستطيع أن يكسر طلاسم العالم ويبطل سحرنا بأذانه وتكبيره ، واجتهدوا أن يطول ليله ويبطىء سحره ، اشغلوه

---

(١) يقول الله تعالى : ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد : ٧].

عن الجد والعمل حتى يخسر الرهان في العالم ، خير لنا أن يبقى المسلم عبداً لغيره ، ويهجر هذا العالم ويعتزله ويتنازل عنه لغيره ، زهداً فيه ، واستخفافاً لخطره ، يا ويلتنا ويا شقوتنا لو انتبهت هذه الأمة التي يعزم عليها دينها أن تراقب العالم وتعسه»[١] .

أسباب حيرة العالم الإسلامي ، مصادرها وأسبابها ونتيجة هذه الحيرة:

والواقع الثاني المعارض للواقع الأول ، أن العالم الإسلامي حائر اليوم بين دين لا يسهل عليه العمل به والقيام بمطالبة ، لعادات نشأ عليها ، وتعليم أذابه ، وشهوات لا تتفق مع عقيدته ورسالته ، وبين جاهلية لا ينشرح لها صدره ، لإيمان لا يزال له بقية فيه ، وقومية عجنت مع الإسلام ، وحضارة تخمرت مع الدين.

إن العالم الإسلامي حائر بين فطرته التي تنزعه إلى الدين ، وتاريخه الذي يقبل به على الآخرة ويبعث في نفسه الثورة على المجتمع الفاسد والحياة الزائفة ، وبين التربية العصرية التي تزين له المادية وتطبعه على الجبن والضعف ، والزعامة التي تفرض

---

(١) انظر : «روائع إقبال» للعلامة الندوي طبع من دار ابن كثير بدمشق عنوان «برلمان إبليس» ١٣١ .

عليه الاتكال على الغير والاعتماد على العدو والفرار من الزحف.

إن العالم الإسلامي حائر بين شباب ثائر ودم فائر، وذهن متوقد، وأزهار تريد أن تتفتح، وبين قيادة شائخة شائبة، قد أفلست في العقلية والحياة، حرمت الابتكار والإبداع، والشجاعة والمغامرة.

إن العالم الإسلامي حائر بين مواد خام من أقوى المواد وأفضلها في الإيمان، والقوة والشجاعة، وبين موجهين وصناع لا يعرفون قيمة هذه المواد، ولا يعرفون أين يضعونها، ولا ماذا يصنعون منها.

سؤال ما هي أسباب حيرة الشباب المسلم؟

«إني مستغرب إذا لم يكن الشباب الإسلامي في حيرة من قبل كما تجده وتشعر به، إن الشجرة لا تلام على ثمرتها، إن في إمكان البستاني أن لا يغرس شجرة من الشجرات، ولكن ليس من المعقول وليس من الطبيعي أنه إذا غرس شجرة معينة ثم سهر عليها، وغذاها ونماها وسقاها، وأحيا ليالي متوالية في سبيلها، وقف في وهج الشمس، وفي البرد القارس ليحرس منها هذه الشجرة، ولتؤتي أكلها بعد حين، ثم إذا أتت أكلها الطبيعية لامها ونزل عليها غضباً، هذا شيء غير معقول وغير طبيعي، لأن طبيعة الشجرة هي طبيعة الشجرة، منذ خلق الله

هذا الكون ، ومنذ خلق هذه الشجرة ، فشجرة الزيتون هي ستعطي ثمر الزيتون ، وشجرة الرمان ستعطي الرمان ، وهكذا .

إن من أعظم الأسباب في هذه الحيرة التي يعانيها الشباب المسلم بصفة خاصة ، هو التناقض في التوجيه والإعلام والتربية ، تناقض بين ما ورثوه وبين ما يعيشونه وبين ما يلقنونه تلقيناً ، وبين ما يطلبه منهم علماء الدين ، هذا التناقض العجيب الذي سلط عليهم ومنوا به هو السر في هذه الحيرة ، هذه الحيرة المردية ، هنالك عقائد آمنوا بها كمسلم ولد في بيت إسلامي ، في أسرة إسلامية ، ونشأ على كثير من العقائد وتلقاها بوعي أو بغير وعي ، ثم إنه نشأ في بيئة دينية تؤمن بمبادىء الإسلام ، وقرأ التاريخ الإسلامي ـ إذا أكرمه الله بذلك وتسنت له هذه الفرصة الكريمة ـ وكان سعيداً بوجوده في بيئة واعية دينية ، ثم سيق ـ ومعذرتي إلى اختيار هذه الكلمة ، لأنه لا يزال في سن مبكرة وليس له خيار ـ إلى دور ثقافة يسمع فيها من أولئك الأساتذة الذين يجلهم؛ لأنهم أصحاب اختصاص وأصحاب زعامة في كثير من العلوم ، كل ما ينقض ما أبرمته البيئة ، ويقتلع كل ما غرسته في قلبه وعقله التربية الإسلامية ، يسمع ويرى كل ما ينفي كل ذلك ، أو ما يقلل قيمته على الأقل ، فيقع في تناقض عجيب وفي صراع فكري عنيف ، وهذا الصراع الفكري يدوم معه إلى أن يشاء الله ، أو تحدث معجزة ، إنه حقاً في هذه البيئة التي

نعيش فيها ، صراع من أدق أنواع الصراع ومن أصعب أنواعه ، الصراع بين القوى المتعارضة ، إنه قد يواجه الصراع في ساحة القتال ، ومدة ساعة القتال قصيرة وإن طالت، ولكن هذا الصراع يعالجه دائماً ، إنه يعالجه في المسجد ، ويعالجه في المدرسة ، ويعالجه في البيت ، ويعالجه فيما بينه وبين نفسه ، إنه يتلقى من مؤسسة «الإعلام» ومؤسسة الصحافة بالمعنى العام ، ومن التلفزيون الذي جاء حديثاً إذاعات وأحاديث وبرامج تقضي على البقية الباقية من آثار التربية القديمة ، وتحدث فيه ثورة فكرية وقلقاً نفسياً ، والصحافة التي هي «صاحبة الجلالة» في نظر كثير من الناس تقدم إليه في أول النهار الغذاء الفاسد العفن ، والمواد المثيرة المهيجة للعواطف ، قبل أن يكسر الصُّفْرا (على تعبير إخواننا السوريين) وقبل أن يتلو شيئاً من القرآن ، فأول ما يقع عليه نظره ، صورة عارية لفتاة ، وعناوين مثيرة للغرائز ، أو مقالات مثيرة للشكوك مزعزعة للإيمان والثقة ، فيتلقى شبابنا هذا في رغبة ونهامة ، وفي شوق واستجابة ، إنه يقع في أيديهم كتب علمية لها عناوين هائلة ، وأسماء مرعبة ، صادرة من أناس آمنوا بفضلهم وعبقريتهم ، فيرون ما يشككهم في الدين ، يشككهم في التاريخ الإسلامي ، ويشككهم في مصادر الشريعة الإسلامية ، وحتى في مصادر اللغة والأدب الأولى ، ويشككهم في صلاحية هذه الأمة ، وفي خلود الرسالة التي يحملونها ، يشككهم في صلاحية اللغة العربية ، فيتلقون هذا المزيج

العجيب ، وهذه الخميرة العجيبة ، من أفكار ومبادىء وإغراءات ، ومن نظريات علمية ، ويقعون من كل ذلك في حيرة لا تعدلها حيرة ، فخليق بكل هذا أن يوقع الإنسان ـ وإن كان ناضج الفكرة ، مختمر العقل ، حصيف الرأي ـ في حيرة ، فكيف بالشباب الغض الناعم ، وكيف بهذه البراعم الناعمة التي لم تتفتح بعد، كيف يرجى منهم أن يقفوا أمام التيارات المتصارعة؟

إن مثل ذلك كمثل عجلة أو مركبة ، ركب فيها فرس في الأمام وركب فيها فرس في الوراء ، وكلاهما قويان ، فكما أن هذه العجلة من المعقول جداً أن يكون ركابها في حيرة من أمرهم ، هذا يجرها إلى الأمام ، وهذا يجرها إلى الوراء ، فكذلك الشباب يتأرجحون في أرجوحة يميناً وشمالاً .

إن الأدب الذي لم يزل يواجهنا منذ خمسين سنة على الأقل من العواصم العربية والإسلامية الكبرى التي كان لها التوجيه ، وكانت لها الزعامة الفكرية والدينية ، غرس في قلوب الناشئة وفي قلوب الشباب ، بل في قلوب كثير من الكهول ، بذوراً من الشك والاضطراب ، تشككوا حتى في وجودهم ، تشككوا في كل ما تواتر واستفاض وأصبح من قبيل البديهات ، إن هذه الكتب التي أريد من ورائها رزق أو شهرة ، أو زعامة فكرية ، أو هتاف وتصفيق حاد ، إن هذه كلها غرست في قلوب شبابنا الشك والحيرة ، والتناقض ، فأنا لا أستغرب هذا الوضع ، وهذا هو

السبب الرئيسي والسر في حيرة الشباب».

النقاط الرئيسية الحاسمة لتغيير الحال والعودة بالأمة الإسلامية إلى دورها الإصلاحي والقيادي:

ومع تقييم أساليب الدعوة والعمل الإسلامي الذي تقوم به المنظمات والجماعات الإسلامية، وتقديرجهودها، لا مانع من الإشارة ـ ولو في غاية الإجمال ـ إلى النقاط التالية التي يجب التركيز عليها في الانتفاضة الإسلامية الجديدة، وصيانة المجتمع الإسلامي من الجاهلية التي يتطلبها القرن الخامس عشر الهجري في ضوء الواقع وتجارب الماضي:

١ ـ تحريك الإيمان في نفوس الشعوب والجماهير المسلمة وإثارة الشعور الديني فيها، فإن تمسك هذه الشعوب والجماهير بالإسلام وتحمسها له، وهو السور القويُّ العالي الذي يعتمد عليه في بقاء هذه البلاد وكثير من القيادات وحكومات العالم الإسلامي في حظيرة الإسلام، وهي مادة الإسلام ورأس ماله، والخامات الكريمة التي تستخدم لأي غاية نبيلة، وهي من أقوى المجموعات البشرية وأحسنها سلامة صدر وقوة عاطفة، وإخلاص.

وذلك مع تحقيق الشروط، والصفات التي تستحق بها هذه الشعوب النصر من الله، والتغلب على المشكلات والانتصار على العدو، كتصحيح العقيدة، وإخلاص الدين لله،

والابتعاد عن كل أنواع الشرك والعقائد الفاسدة ، والعادات الجاهلية ، والتقاليد غير الإسلامية ، وعن النفاق ، والتناقض بين العقائد والحياة والقول والعمل ، وسير الأمم القديمة التي استحقت بها عذاب الله وخذلانه ، وكذلك سيرة الأمم المعاصرة التي نسيت الله ، فأنساها نفسها ، وقادت العالم إلى النار والدمار .

هذا مع تنمية الوعي الصحيح وتربيته والفهم للحقائق والقضايا ، والتمييز بين الصديق والعدو ، وعدم الانخداع بالشعارات والمظاهر ، حتى لا تتكرر مآسي وقوع هذه الشعوب فريسة للهتافات الجاهلية ، والنعرات القومية ، أو العصبيات اللغوية ، والثقافية ، ولعبة القيادات الداهية والمؤامرات الأجنبية ، فتذهب ضحية سذاجتها وضعفها في الوعي الديني والعقل الإيماني .

٢ ـ صيانة الحقائق الدينية والمفاهيم الإسلامية من التحريف وإخضاعها للتصورات العصرية الغربية ، أو المصطلحات السياسية والاقتصادية ، والتجنب عن تفسير الإسلام تفسيراً سياسياً بحتاً ، والمغالاة في «تنظير الإسلام» ووضعه على مستوى الفلسفات العصرية والنظم الإنسانية؛ لأن هذه الحقائق الدينية ، هي أساس الإسلام الدائم والأصل الذي منه البداية وإليه النهاية وإليها كانت دعوة الأنبياء وفي سبيلها كان جهادهم

وجهودهم ، وبها نزلت الصحف السماوية .

والحذر من كل ما يقلل من قيمة الصلة بين الله والعبد والإيمان بالآخرة وأهميتها ، ويضعف في المسلم عاطفة امتثال أمر الله وطلب رضاه ، والإيمان والاحتساب ، والقرب عند الله تعالى ، وهذا التحول يفقد هذه الأمة شخصيتها وقوتها ، وقيمتها عند الله ، وكذلك الحذر من كل ما يقلل من شناعة الوثنية العقائدية ، والشرك الجلي ، والعادات والعبادات الجاهلية ، والاكتفاء بمحاربة النظم والتشريعات والحكومات غير الإسلامية ، فإن ذلك يتجه بهذا الدين عن منهجه القديم السماوي إلى المنهج الجديد السياسي .

٣ ـ تقوية الصلة الروحية والعاطفية بالنبي ﷺ والحب العميق له ، الذي يؤثر على النفس ، والأهل والولد ، كما جاء في الحديث الصحيح ، والإيمان به كخاتم الرسل ، وإمام الكل ، ومنير السبل ، والحذر من كل العوامل والمؤثرات التي تسبب تجفيف منابع هذا الحب ، وإضعافه على الأقل ، وتحدث جفافاً في الشعور ، وضعفاً في العمل بالسنة ، وتجرؤاً في القول ، وانصرافاً عن الافتخار به والولع بدراسة سيرته ، وكل ما يحرك هذا الحب ويغذِّيه ، ولعل البلاد العربية (بفعل أحداث ودعوات قومية) أحوج إلى العناية بهذه النقطة ، وأحق بها من غيرها ،

ففيها كانت البعثة المحمدية ، وفي لغتها نزل القرآن ، ونطق الرسول.

٤ ـ كذلك تجب العناية ببقاء الشعور بأهمية الجهاد في المفهوم القرآني الشرعي الإسلامي وإحلاله المحل اللائق من العقل والعاطفة ، ومن الإكبار والإجلال ، والغبطة على من اتصف به ومثل به دوراً بارزاً ، والحرص على تقليدهم ، والحنين إلى الشهادة ، فإنها ثروة إيمانية ، تمتاز بها هذه الأمة من بين الأمم قديماً وحديثاً ، ومصدر خوارق ، وروائع من البطولة والفداء ، واقترن به نصر الله وتأييده في كل زمان ومكان ، وتخلي الأمة عن هذه الطاقة أو الثروة خسارة لا تعوض بشيء ، وفراغ لا يملؤه شيء آخر من التوسع في العلم والتقدم في العقل والحضارة.

ويستعان في ذلك بكتب تثير في العاملين الدعاة والمستمعين الحماس الديني ، وتشعل فيهم الحمِيَّة الدينية ، وترخص الحياة ومتعها وأمجادها في سبيل إعلاء كلمة الله.

٥ ـ إعادة الثقة في نفوس الطبقة المثقفة ، ومن بيدهم القيادة الفكرية والتربوية ، والإعلامية ، في البلاد والحكومات الإسلامية ، بصلاحية الإسلام وقدرته ، لا على مسايرة العصر وتطوراته وتحقيق مطالبه ، بل على قيادة الركب البشري إلى الغاية المثلى ، وتجديف سفينة الحياة إلى بر السلام والسعادة ،

وإنقاذ المجتمع البشري من الانهيار والانتحار ، الذي تعرضت لهما تحت القيادة الغربية الخرقاء ، وإنه ليس «بطارية» قد نفدت شحنتها أو ذبالة قد نفد زيتها ، واحترقت فتيلتها ، بل هو الرسالة العالمية الخالدة وسفينة النجاة التي هي كسفينة نوح ، لا ينجو إلاَّ من رَكِبَها.

إن ضعف هذه الثقة ، أو فقدها هو داء هذه الطبقة المثقفة الناشئة في أحضان الثقافة الغربية ، أو تحت ضغطها ، وهو المسؤول عن كل تصرفاتها وسبب الردة الفكرية والحضارية والتشريعية ، التي تكتسح اليوم العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه ، وتعاني منه الشعوب المسلمة ـ التي لا تفهم إلا لغة الإيمان والقرآن ، ولا تتحمس إلا للإسلام ـ وسبب حدوث هذا الخليج العميق ، الواسع بين القيادات والحكومات ، والشعوب والجماهير ، وسبب القلق الذي يساور النفوس ، ويستهلك القوى والطاقات فيما لا يعود على الأمة والبلاد بفائدة.

٦ ـ قلب نظام التربية والتعليم المستورد من الغرب المنتشر السائد في العالم الإسلامي ، رأساً على عقب ، وصوغه صوغاً إسلامياً جديداً ، ويتفق مع شخصية هذه الشعوب المسلمة ، وعقيدتها ، ورسالتها ، وقامتها ، وقيمتها ، ليبعد هذا الصوغ عنه عناصر الإلحاد أو المادية ، وتصور هذا الكون تصوراً مادياً ،

والعلوم وحدات متناثرة متناقضة ، والطبيعة حرة قاهرة ، والتاريخ حوادث غير مرتبطة خاضعة لقلق وصراع دائمين ، وهكذا ، ولا يصلحه إصلاحاً جزئياً فحسب ، بل يبتكر ابتكاراً جذرياً مهما استنفد من الطاقات ، وكلف من الوسائل والنبوغ والعبقريات ، وبغير ذلك لا يقوم العالم الإسلامي على قدميه ، وبرأسه ، وعقله ، وإرادته وتفكيره ، ولا تدار الحكومات ، والأجهزة الإدارية ، والمرافق العامة إلاَّ برجال مؤمنين أقوياء أمناء مخلصين ، يطبقون التعاليم الإسلامية في الحكومة والإدارة ، والتربية والإعلام ، والمجتمع ، فتمثل الحياة الإسلامية بجمالها وكمالها ، وينشأ المجتمع الإسلامي بسماته وخصائصه.

٧ ـ حركة علمية قوية دولية ، تعرف الطبقة المثقفة الجديدة ، بذخائر الإسلام العلمية وتراثه المجيد ، وتنفخ في العلوم الإسلامية روحاً من جديد ، وتثبت على العالم المتمدن ، أن الفقه الإسلامي وقانونه من أرقى القوانين وأوسعها في العالم ، وهو يقوم على أساس من المبادىء الخالدة التي لن تبلى ولن تفقد صلاحيتها في يوم من الأيام ، وهي تصلح لمسايرة الحياة الإنسانية في كل زمان ومكان ، وتغنيها عن كل قانون وضعته أيدي الناس.

٨ ـ الحضارة عميقة الجذور في أعماق النفس الإنسانية ، وفي مشاعر الأمة وأحاسيسها ، وتجريد أمة عن حضارتها الخاصة ـ التي نشأت تحت ظلال دينها وتعاليم شريعتها ، وكان في صياغتها نصيب كبير للذوق الديني الخاص ـ وطابع هذه الأمة الخاص ، مرادف لعزلها عن الحياة ، وتحديدها في إطار العقيدة والعبادة والطقوس الدينية الضيق ، وفصل حاضرها عن ماضيها ، فلا بد للحكومات الإسلامية والمجتمعات الإسلامية من التخطيط المدني الإسلامي المستقل ، البعيد عن تقليد الغرب الأعمى ، والارتجالية ، ومركب النقص ، ولا بد من تمثيل الحضارة الإسلامية في عواصمها ، وفي دوائرها وفي بيوتها ، وفي مجتمعاتها ، وفي فنادقها ومنتزهاتها ، وإلى حد في مكاتبها وطائراتها ، وسفاراتها ، وبذلك لا يعرض العالم الإسلامي نموذجاً للحياة الإسلامية والمثل الإسلامية فحسب ، بل يقوم بدعوة صامتة للإسلام.

٩ ـ معاملة الحضارة الغربية ـ بعلومها ونظرياتها واكتشافها وطاقتها ـ كمواد خام يصوغ منها قادة الفكر ، وولاة الأمور في العالم الإسلامي ، حضارة قوية عصرية ، مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى والرحمة والعدل في جانب ، وعلى القوة والإنتاج والرفاهية وحب الابتكار في جانب آخر ، يأخذون من علوم الغرب ما تفتقر إليه أمتهم وبلادهم ، وما ينفع عملياً ،

وما ليس عليه طابع غرب وشرق ، ويستغنون عن غيره ، ويعاملون الغرب كزميل وقرين ، إن كانوا في حاجة إلى أن يتعلموا من الغرب كثيراً ، فهو في حاجة إلى أن يتعلم منهم كثيراً ، وربما كان ما يتعلمه الغرب منهم ، أفضل مما يتعلمونه هم من الغرب .

١٠ ـ إقناع الحكومات المسلمة ـ المسالمة للإسلام ـ بضرورة تطبيق الشريعة الإسلامية ، وتهيئة الجو المناسب ، المساعد على ذلك ، وما يستتبع هذا الأمر من سعادة وبركة ونصر من الله ، وسعي لتكوين قيادة موحدة تقوم على مبدأ الشورى الإسلامي ، والتعاون على البر والتقوى ـ والشعور بالتقصير على الأقل ـ بعدم وجود الإمامة العامة ، أو الخلافة الإسلامية التي كلف بها المسلمون وسيحاسبون عليها .

١١ ـ أما البلاد غير الإسلامية فالقيام بالدعوة إلى الإسلام والتعريف به ، بأساليب حكيمة تتفق مع طبيعة الإسلام وروح العصر ، أما البلاد التي فيها الأقليات المسلمة ، فالاهتمام بتمثيل الإسلام ، والحياة الإسلامية تمثيلاً يلفت إليه الأنظار ، ويستهوي القلوب ، والقيام بالقيادة الخلقية والروحية ، وقبول مسؤولية إنقاذ البلاد والمجتمع من الانهيار الخلقي ، والخواء الروحي ، والتدهور الاجتماعي الذي تعرضت له هذه البلاد ، حكومة وشعباً ، حتى يتهيأ للإسلام أن يثبت جدارته وحاجة

البلاد إليه ، ويتهيأ للمسلمين أن يقوموا بدورهم البلاغي والقيادي في هذه البلاد.

الأمل في القادة المخلصين الجادين الواقعيين:

إن التاريخ شاخص ببصره في مطلع هذا القرن إلى من يحقق مطالب العصر والإسلام التي شرحناها ، ويقوم بهذه التجارب الجريئة الحكيمة ، والمؤرخ ممسك قلمه يسطر به سطور الثناء والإجلال ، ويقلده الزعامة الحقيقية في العالم الإسلامي ، والعبقرية والعصامية في التاريخ الإسلامي.

إن الحضارة الغربية أشرفت على الانهيار ، وآذنت بالأفول والزوال ، إنها لا تعيش ولا تواصل سيرها بمجرد قوتها الذاتية ، وجدارتها للحياة والبقاء ، بل لأنها ليست في هذا المجال ـ من تعاسة الحظ ـ حضارة تحل محلها وتسد فراغها ، إن جميع الحضارات المعاصرة والقيادات الحديثة اليوم لا تعدو نوعين ، إما مقلدة جامدة وصورة شاحبة للحضارة الغربية ، وإما هي ضعيفة هزيلة ، مريضة سقيمة ، منسحبة منهزمة ، لا تستطيع أن تواجه هذه الحضارة أو تقف معها جنباً إلى جنب ، فإذا قامت هذه الدول الإسلامية ، والعالم الإسلامي بصورة عامة لسد هذا الفراغ الذي سيحدث بعد نهاية الحضارة الغربية وانسحابها عن مسرح القيادة ، رد إليه منصب قيادة الجنس البشري ، وتوجيه الشعوب المعاصرة مرة ثانية ، المنصب الذي لا يفوض إلا إلى

أمة فتية أبية تحمل كل عناصر البقاء والاستمرار والتقدم والازدهار ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٦٢].

* * *

حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل

إن الحاجة الأولى الملحَّة في عصرنا هي وجود مجتمع إسلامي مثالي نموذجي يرضاه الله تبارك وتعالى ويكون في صالح الإنسانية ، ويكون نموذجاً بل مرآة للتعاليم الإسلامية في العقائد أولاً ثم في الأخلاق والمعاملات وشعب الحياة ، هذا المجتمع مفقود ، لا أقول معدوم ، وإني أعيذ نفسي أن أقول هذه الكلمة ، ولكنه مجتمع مطلوب في الواقع ، ومجتمع محتاج إليه ، إنه لا يغير وضع العالم في هذا الوقت شيء مثل ما يغير وجود هذا المجتمع المثالي الإسلامي ، ـ إن الإسلام ما شق طريقه إلى الأمام وما فتح الله له هذه الفتوح العظيمة التي لا تزال موضع دهشة المؤرخين والمتبصرين والناقدين ، ولم يستطع الإسلام أن ينشىء نمطاً جديداً من الحياة وأن يجلب الشعوب والأمم والعقول والقلوب ، والنفوس والأرواح ، في كم وكيف ، ليس لهما مثال في التاريخ الإنساني ، لم يستطع الإسلام أن ينجز أو يحقق هذا المطلوب وأن يصل إلى ما وصل

إليه في الماضي ولا تزال له آثار باقية ليس بتعاليمه وتوجيهاته فحسب ولا بمبادئه ومثله ، بل المجتمع الحيّ الذي يسعى على القدم ويتكلَّم باللسان ويعمل باليد ويشعر بوجوده في الحياة في الخارج.

لقد كان هذا المجتمع مفقوداً بل كان معدوماً منذ قرون بل منذ آلاف من السنين ، وكانت التعاليم الخلقية في الصحف السماوية ـ إذا كانت هذه الصحف السماوية على أصلها وإلا ضاع منها الكثير وحرِّف منها الكثير ـ ولكن لم يكن يوجد مجتمع يتنفس فيه الإنسان ، ويشم فيه رائحة الإيمان ، ويشعر بالنفس الإيماني والشعور الإيماني ، وتملأ جوارحه وتغمر قلوبه نفحات روحانية ، يشعر في ذلك بالسعادة الحقيقية ، ويشعر بأنه انتقل من الجحيم إلى الجنة ، ومن الشقاء إلى السعادة ، ومن العذاب إلى النعيم.

هذا المجتمع الذي أوجده محمد ﷺ ، وكان مركزه الأول في المدينة المنورة ، ثم امتد هذا المجتمع حتى تخطى الحدود وبلغ إلى أقصى الأرض ، هذا المجتمع هو الذي جلب القلوب والنفوس إليه ، وكان أكبر برهان ، وإن ألف برهان في جانب ، وألف دليل عقلي في جانب ، ووجود هذا المجتمع ووجود هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يمثلون هذا المجتمع كان كافياً ، كان الإنسان إذا دخل في هذا المجتمع انجذب إلى هذا المجتمع

بقلبه وقالبه وعشق هذا المجتمع وما أحب أن يفارق هذا المجتمع ، وأراد أن يعيش فيه ويموت فيه. يروى عن سيدنا الإمام ابن شهاب الزهري وهو من كبار التابعين وممن عليهم الاعتماد في رواية الحديث ، يقول:

«لما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها ، وأمن الناس ، وكلم الناس بعضهم بعضاً ، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة فلم يكلم أحد بالإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ، ولقد دخل في عامين مثل ما كان في الإسلام قبل ذلك أو أكثر»[١].

وذلك في فترة ما بين صلح الحديبية وفتح مكة لأنه قد سمح لهم ، وتيسر لهم لقاء أقاربهم وقضاء بعض الوقت معهم ، ورؤيتهم عن كثب وقضاء النهار معهم ، فرأوا أنهم نمط آخر من الإنسانية ونموذج آخر ، لا يكذبون ولا يسبون ولا يغضبون غضباً مفرطاً ، ويؤثرون على أنفسهم وأبنائهم ولو كان بهم خصاصة ، ويذكرون الله قياماً وقعوداً ويحتسبون في كل عمل ، لا يعملون عملاً إلا بإيمان واحتساب ، كأن بيوتهم قطعة من الجنة ، قطعة من جنة الفردوس ، لا جدال فيه ولا سباب فيه ولا غيبة فيه ولا حسد فيه ولا مراء فيه ، فكانوا يسلمون ، يأتي الواحد إلى خاله ، ويأتي الثاني إلى عمه ، ويأتي الواحد إلى ابن أخته وإلى ابن عمه كما جرت العادة ، لأنه قد أزيلت تلك السدود

---

(١) سيرة ابن هشام ١ ق٢ ص ٢٢٢.

التي كانت بين أبناء قريش ، بين الكفار من قريش وبين المسلمين ، وأمنوا على نفوسهم وأرواحهم ، وجاؤوا يزورون إخوانهم وأقاربهم.

وإذا قضوا معهم أياماً ، كانوا يفكرون فقد رزقهم الله تعالى سلامة الفكر ، إنهم استعرضوا الوضع ، فقالوا: نحن من نسل واحد ، من ذرية واحدة ، نحن بنو عدنان ، نحن بنو قريش ، ثم لغتنا واحدة ، يتكلمون بالعربية ونحن نتكلم بالعربية ، ثم إن غذاءهم واحد يأكلون ما نأكل ونأكل ما يأكلون ، ثم لباسنا واحد؛ لأن العرب كانوا يلبسون لباساً واحداً وزياً واحداً ، من أين جاء هذا الفرق ، من أين جاء هذا الفرق الهائل ، هذا الفرق المدهش ، من أين وقعت هذه الفجوة العميقة بين حياتنا وحياتهم ، هؤلاء كأنهم ملائكة ، ونحن بشر ، إنهم أسلموا بعد ذلك ، وعلى كل حال هم من قبيلة رسول الله ﷺ ، فكانوا يرون هذا الفرق الهائل فيفكرون لأن الله سبحانه وتعالى رزقهم سلامة الفكر والقدرة على الموازنة والاستعراض الصحيح ، فقالوا: إنما جاء هذا عن طريق الإسلام لماذا لا نسلم؟ فأسلم هذا العدد الكبير لأنهم رأوا الإسلام بأعينهم يسعى على قدميه ، ويتكلم بلسانه ، ويلمسونه لمساً ، لأن القضية ليست قضية فكرية أو قضية مقارنة بين الديانات أو قضية عقلية قياسية ، بل أصبحت قضية عينية ، قضية مشاهدة.

إننا الآن في حاجة إلى مثل هذ المجتمع. إن هرقل إمبراطور الروم مرة سأل أحد رجال قواته، أو أحد قادة جيشه، فقال: يا فلان بالله أخبرني أنا أرسل جيشاً بعد جيش، وكتيبة إثر كتيبة، هذا الجيش الذي هزم الإيرانيين في الأمس القريب، ودمرهم وكسر شوكتهم، وتغلغل في بلادهم، كيف يعجز هذا الجيش عن أن يتغلب على جيش المسلمين الذين ما مارسوا الحروب، ولم تكن لهم تجارب حربية مثل ما كانت للإيرانيين؟ كانت إيران إمبراطورية راقية من أرقى الإمبراطوريات التي عرفها التاريخ، إنهم كانوا يعرفون الأساليب الحربية كما نعرف أو أحسن منا، كيف استطعنا أن نهزمهم، ولا نستطيع أن نهزم هؤلاء العرب البدو، سكان الخيام ورعاة الإبل، كيف لا يستطيع هؤلاء القادة المحنكون الذين هزموا إيران بالأمس أن يتغلبوا عليهم؟ صفهم لي، قال: أو تعفيني - يا جلالة الملك، قال: لا، صفهم لي، قال: إذاً تسامحني، فقال له: قل ما شئت. قال: هؤلاء بالليل رهبان، وبالنهار فرسان، هم عباد ليل وأحلاس خيل، إذا دخلت في مسجد في الليل لم تستطع أن تسمع صوتهم لدوي ما يقرؤونه من القرآن، لهم دويٌّ كدويِّ النحل، ولا يأخذون شيئاً من دكان إلاَّ إذا أدوا ثمنه، وإذا سرق ابن أميرهم قطعوا يده، فقال: والله إن صدقت فإنهم سيصلون إلى موضع قدمي هاتين، وهكذا كان.

هذا المجتمع هو حاجة الإنسانية الآن ، لقد ارتقت المدنية كما تعرفون ، إنها وصلت إلى آخر نقطة ، إلى أوجها ، استطاع الإنسان اليوم أن يسبح في الجو ، استطاع أن يصل إلى القمر ، وكما يقول الدكتور محمد إقبال: إن الذي أسر أشعة الشمس ووصل إلى القمر لم يعد يحسن أن يمشي على الأرض كإنسان. وكما قال عالم هندي لفيلسوف بريطاني ، كان هذا البريطاني الإنجليزي يتبجح ويذكر رقي المدنية والفتوح التي حققتها المدنية الغربية والصناعة الغربية ، قال: إننا قطعنا رمالاً طويلةً أو عويصة ، وإننا قطعنا في كذا من الساعات في سيارات ، ونحن نسير من مكان إلى مكان بالرحلة الجوية بالطائرة في كذا من الوقت ، ونحن فعلنا كذا وكذا ، ونحن فعلنا كذا وكذا ، فقال هذا العالم الهندي: نعم إنكم استطعتم أن تطيروا في الجو كالطير ، واستطعتم أن تسبحوا في الماء كالسمك ، ولكنكم لا تحسنون المشي على الأرض كإنسان ، فالمدنية الغربية في الحقيقة متناقضة ، إنها وصلت إلى أرقى مدى من الصناعة ، ومن الفتوح العلمية والفتوح الاكتشافية ، ولكنها أفلست في الإنسانية ، أفلست في البشرية.

نحن الآن في حاجة إلى أن نحاول أن ننشىء مجتمعاً نموذجياً مثالياً من بلاد الإسلام ، وإني أقول لكم وأؤكد لكم: إنه إذا وجد هذا المجتمع لجاء الجوابون لجاء التواقون ، لا أقول الجوابون

أقول التواقون لرؤية هذه المدنية من أقاصي الدنيا ليقضوا يوماً واحداً في هذا المجتمع ، إنهم سئموا الحياة الآلية فعلاً ، إنهم يملكون العالم بالقوة السياسية والحربية والمالية ، ولكنهم قد سئموا هذه المدنية ، وإنهم في شوق إلى أن يجدوا مجتمعاً سليماً ، مجتمعاً صالحاً ، مجتمعاً مثالياً ، مجتمعاً خلقياً ، فإذا سمعوا أن في أي جهة من جهات الشرق الإسلامي ، في أي مكان من أرض الله وجد هذا المجتمع لجابوا الآفاق ، وقاموا بالرحلات الطويلة الباهظة لرؤية هذا المجتمع ، نحن في أشد الحاجة لننشىء هذا المجتمع ، وهذا لا يكون إلا إذا كان عن طريق المنابر في المساجد وعن طريق التوجيهات التربوية ، وعن طريق الدروس الدينية ، لأن المسلمين الآن لا يزالون على خير ما داموا مرتبطين بالعلماء بالتوجيه الديني ، وبالدروس الدينية ، فيجب أن نزيل ذلك التناقض الذي حدث في حياة المسلمين .

لقد أصبحت حياة المسلمين وحدات متنافرة ، بل في بعض الأحيان وحدات متناقضة ، وحدة دينية فيها صلاة وصيام ، ولكن فساد في المعاملات ، وضعف في الأخلاق ، وإخلال بالواجبات والفرائض ، وهكذا ، وإذا كانت هناك بيئة صالحة في ظلال الدين ، فهنالك حياة غير صالحة في البيوتات ، الحياة العائلية ليست حياة مثالية دينية ، يجب أن تجمع هذه الوحدات كلها ، فتكون حياة المسلمين وحدة واحدة لا مقسمة موزعة من

وحدات كثيرة فيقال: إذا أردتم أن تأخذوا صورة مشرقة للإسلام والمسلمين ، فعليكم بالمساجد ، ومن يدخل في المساجد من غير المسلمين؟

أذكر بهذه المناسبة مثالاً من تجربتنا في الهند ، بلد الأغلبية غير الإسلامية ، قمنا في الهند بحركة تسمى «حركة رسالة الإنسانية» نخاطب بها المسلمين ونوجهها إلى غير المسلمين أيضاً ، فندعوا إلى الأخلاق الصالحة والحياة الشرعية النزيهة وإلى التسامي عن عبادة المادة ، وعبادة الأموال ، والرشا والخيانات والجنايات ، وندعو إلى حياة شريفة نزيهة خلقية ، وبذلك أقول للمسلمين: تستطيعون أن تتولوا قيادة هذه البلاد؛ لأن هذه البلاد في سبيل انتحار جماعي ، وفي سبيل انهيار مفزع ، ليس المجتمع الهندي وحده بل كل مجتمع ، أقول لكم عن تجربة ومشاهدة: كل مجتمع في العالم يسعى بسرعة إلى الانهيار الجماعي ، والانتحار الجماعي ، أنا أقول لهم: إذا كنتم ممثلين للإسلام وللأخلاق الإسلامية وللحياة الإسلامية فتستطيعون أن تنقذوا هذه البلاد ، ثم الله سبحانه وتعالى يقول في القرآن الكريم: ﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي ٱلزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ أَنَّ ٱلْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِىَ ٱلصَّٰلِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥]. «فأنتم بذلك تستطيعون أن يكرمكم الله مرة ثانية بقيادة البلاد ، وقد لفت أنظار المسلمين إلى مواضع الضعف في حياة المسلمين أيضاً مثلاً في

المعاملات ، في الأخلاق ، في التجارات ، ومثلاً في الوظائف وفي أداء الواجب ، وقلت لهم : أصلحوا أنفسكم أولاً ثم قودوا البلاد ثم تسلموا مسؤولية إنقاذ البلاد ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ [الأنفال : ٣٣]. ليس النبي ﷺ على الأرض بيننا الآن ولكن أمته لا تزال ، لا يسوغ أن تنهار بلاد وأن تسقط بلاد وأن تكون فريسة الدمار والانهيار والانتحار مع وجود الأمة الإسلامية فيها ، فأنتم المسؤولون أمام الله ، ومسؤولون في التاريخ كيف انهارت هذه البلاد وكيف غرقت هذه السفينة وأنتم من ركابها ، كيف تغرق سفينة وأنتم ركابها؟ إنكم تستطيعون أن تجدفوا هذه السفينة إلى النجاة ما دمتم على هذه السفينة مع زملائكم الآخرين ، فأنتم تجدفون هذه السفينة ، فقودوا البلاد قيادة خلقية ، قيادة إنسانية ، إن الناس ينظرون إليكم بنظرة إجلال وتقدير ، أما المنافسات السياسية فقط ، وأما الحروب الطائفية فقط ، وأما الاصطدامات المادية فقط ، وأما التكالب على المادة ، هذا لا يرفعكم ولا يشرف قدركم ولا يرفع منزلتكم في عيون الآخرين ، أنتم إذا تجردتم عن الأنانية ، وإذا تجردتم عن الشهوانية ، وإذا تجردتم عن عبادة المادة ، وإذا رثيتم للإنسان مهما كان ، هنالك يكرمكم أهل البلاد ، وينظرون إليكم كالمنقذين .

إن المجتمع الهندي يمشي بخطى سريعة إلى الدمار والبوار من أجل انتشار الرشوة وعبادة المادة ، وصورت لهم وضع البلاد ، فجاء زعيم الطوائف وأراد مقابلتي فخشيت أن يوجه أسئلة يناقشني ، ولكن بعد ذلك سمحت له فجاء وقال: إنني قد سمعت كلمتكم بالأمس فوصلت إلى نتيجة وهي أنكم تهتمون بهذه البلاد أكثر منا ، أنتم تهتمون بهذه البلاد ، وأن وضع البلاد يقلقكم أكثر مما يقلقنا ، فقلت: هذه والله شهادة لها قيمة ، هكذا يجب أن يكون المسلمون في هذه البلاد حتى ينظر إليهم مواطنوهم كمنقذين للبلاد ، ويرجعون كما يرجع الإنسان الغريق إلى سفينة.

هكذا يجب أن يكون في البلاد الإسلامية وخصوصاً في مركز الإسلام مجتمع ممثل ، مجتمع حيٌّ متحرك ، مجتمع يمكن أن يلمس باليد ، ويشعر به في جميع مرافق الحياة ، في جميع نواحي الحياة ، هذا هو الشيء الذي يتعطش إليه العالم كله ، غربياً كان أم شرقياً ، إنه موزع بين المراكز من القيادات الغربية والشرقية ، لكنه ليس في حاجة أكثر من حاجته إلى وجود مجتمع صالح ، مجتمع مثالي نموذجي ، يطبق تعاليم الإسلام ويفكر في مصير الإنسانية ، يتألم لما يرى حوله من أزمات ومحن وإهانات للإنسانية ونسيان للخالق ، واستعباد الإنسان للإنسان ، هذا المجتمع هو حاجة العصر الكبرى ، وأنتم تستطيعون أن تنشئوا

هذا المجتمع أولاً في هذه البلاد المقدسة التي فيها نشأ ، وهنا ولد ، وهنا شب ، وهنا ترعرع ، ومن هنا خرج وفتح الآفاق ، وفتح العالم ، فالمسؤولية ترجع إليكم أولاً ، وإن شاء الله نترسم خطاكم ونمشي خلفكم : والعالم الآن أقول لكم بصراحة : العالم الآن : لا يقيم وزناً كبيراً للرفاهية وللرخاء وللثراء الفاحش ولوسائل المعيشة لما يعود على أهل البلاد بالرخاء والثراء ، العالم لا يهابه ولا يقيم له وزناً كبيراً ، إنما يقيم وزناً للمثل والمبادىء والأخلاق والمعاملات وأسلوب الحياة ونمط الحياة .

أنا لا أكفر بالنعمة بل أشكر الله تعالى على ما أنعم به علينا من وجود آلات الترفيه وآلات المدنية ، من كثرة السيارات ومن الأنوار المنيرة للبلد ومن هذا المستوى الرفيع من المدنية ، أقول : هذا كله من فضل الله ، أنا لا أكفر بنعم الله ولكن العالم لا يقيم له وزناً كبيراً ، إنما يقيم الوزن الكبير للأخلاق وللمجتمع المثالي ، الإنسان إذا دخل في هذا البلد سمع اسم الله تبارك وتعالى ، رأى الناس يخشعون في المساجد ، رأى الناس يخدم بعضهم بعضاً ، إن القادمين من الغرب لا يدهشون إذا دخلوا مطاعمنا وفنادقنا ، عندهم أكبر من هذه الفنادق ومن هذه المنازل لكنهم يجلون ويقدرون وقد يخشعون في بعض الأحيان إذا رأوا هناك حياة صادقة بسيطة بعيدة عن التكلفات وعن التنميق وعن التنافس المادي وعن المظاهر ، الحقائق غالبة على المظاهر ،

أما إذا كانت المظاهر غالبة على الحقائق ، فهم اخترعوا هذه المظاهر ، ومنهم استوردنا هذه المظاهر وهم أهل البضاعة ، هم لا يقيمون لها وزناً كبيراً ، أما إذا دخلوا هنا ورأوا السكينة تغشى المدينة كلها ، يعني قلوبهم تشعرهم بأنها تشعر بسكينة ، تشعر بالخشوع لله تبارك وتعالى ، تشعر بالاحترام للإنسانية ، تشعر بالتواضع وبالبساطة ، هنالك يخضعون ويدخلون في الإسلام أفواجاً ، وهكذا دخل الناس في الإسلام أفواجاً ، رأوا حياة بعيدة عن مخيلاتهم وبعيدة عن تجاربهم كل البعد ، هؤلاء بشر مثلنا لا فرق بيننا وبينهم يجوعون ويعطشون ويمرضون ويصحون ، هم خاضعون للنواميس البشرية ، ولكنهم كأن هنالك عالماً آخر أمامهم ، تعرفون أن رجلاً أسلم ، وهو جبار بن سلمى ، وكان مستبعداً أن يسلم ، فقالوا له : كيف أسلمت؟ قال : والله إن قصة إسلامي ، أنني واجهت مسلماً ، اسمه حرام بن ملحان طعنته برمح ، ودخل هذا الرمح من جانب وخرج من جانب آخر ، فلما خر صريعاً ، قال : «فزت ورب الكعبة»[١] .

قلت : ما معنى هذا؟ هل أنا في حلم أم هذا كاذب ؟! والإنسان لا يكذب عند الموت ، فإذا كان يكذب في بعض الأحيان فعند الموت لا يكذب ، وما جرب على العرب الكذب ولا النفاق ، إنما كان النفاق من خصائص المدنية جاء عن طريق

---

(١) راجع البداية والنهاية ج٤ ص ٧٠ ـ ٧٢. دار الفكر ببيروت.

اليهود ، هكذا كانوا يفسرون أن الآيات التي نزلت في النفاق وفي ذم المنافقين كلها مدنية ، لأن النفاق ما كان يوجد في مكة ، فالطبيعة العربية ضد النفاق وضد الكذب ، إنه استغرب وحار: طعنت رجلاً برمح ودخل الرمح من جانب وخرج من جانب ، وخرَّ صريعاً يتشحَّط في دمه ، ويلفظ نَفَسه الأخير ، إنه أيقن أن زوجه ستكون أرملة ، وأبناءه سيكونون أيتاماً ، إنه حرم كل لذة في الدنيا ، فكيف يقول: «فزت ورب الكعبة» ما هذا الفوز؟ قال له: فسر لي السبب ومعنى الكلمة التي قالها ، فقيل. . إنه كان يشير إلى الجنة ، إنه يعتقد ويؤمن بأنه إذا قتل في سبيل الله فإنه يدخل الجنة ، فإنه يكون مستحضراً لهذه الجنة وناظراً إليها ، فقال: فزت ورب الكعبة ، فأسلمت ، يقول: هذه قصة إسلامي عرفت أن وراء هذه المظاهر عالماً آخر ، أن وراء هذه الحقائق حقيقة أكبر منها ، وهي حقيقة الإيمان بالله تبارك وتعالى ، وحقيقة وجود الله تعالى والجنة والنار والثواب والعقاب ، فكان هذا سبب إسلامي» .

هـذا الـذي يحتـاج إليـه العـالـم الآن ، تجـارب جـديـدة، مشاهدات جديدة، مشاعر جديدة، ومغامرات جديدة، اكتشافات جديدة ، أما هذه المظاهر فمهما تضخمت المدنية ومهما بلغت أوجها ، وبلغت إلى ما لا نستطيع أن نتصوره الآن ، يمكن أن تصل المدنية إلى أكبر قمة بعد قليل ، ولكن هذا لا يدهش

الإنسان الغربي ولا الإنسان المادي ولا الإنسان غير المسلم ، الهندوسي مثلاً ، والمجوسي والنصراني ، إنما تحمله على التفكير من جديد ، وعلى استئناف النظر ، وعلى قلب التصوُّرات والمسلَّمات ، هو شيء ما كان يحلم به وما كان يصدقه ، وهو أن الرجل الذي هو على عتبة الموت ، بل قد عانقه الموت ، يقول: فزت ورب الكعبة ، ما معنى الفوز؟ إنهم عندهم مقاييس معدودة للفوز ، ما هو الفوز عندهم؟ تملك أكبر قدر من المال ، تملك أكبر من القوة السياسية ، اعتلاء كرسي للحكم ، النفوذ في العالم الخارجي ، الشهرة العالمية ، الشرف والكرم ، حفلات تكريمية ، ما كان عندهم قياس ولا افتراض لمثل هذا الفوز ، يموت الإنسان ويفارق كل شيء في هذه الحياة ، يفارق كل لذة في هذه الحياة ، ويعود لا يملك شيئاً ، ويقول فزت ورب الكعبة ، هذه الكلمة وفي مخه و عقله ما لا تعمل كتب كثيرة ، بل مكتبات عظيمة من الاستدلال ومن الدلائل العقلية والعلمية ، هذا الذي يحتاج إليه الإنسان اليوم ، وأكثر ما ينظر إليه العالم ، وحق له أن ينتظر هذا من هذه الجزيرة العربية ومن البلاد العربية مثل الشام الحبيب المسلم ، ومصر كنانة الإسلام والعراق بلاد الرافدين ، وغير ذلك من البلاد العربية ، أولا ينتظر العالم أن يتعرف بهذا في هذه البلاد ثم ينتقل هذا إلى بلاد المسلمين الأخرى.

إننا نسعى كلنا في إيجاد هذا المجتمع الإسلامي في أي بقعة من بقاع العالم ثم لا يكون هذا شيئاً مغموراً ، بل يعلم العالم جميعاً أن هناك مجتمعاً إسلامياً ، هنالك يتهافت الناس عليه تهافت الفراش على النار ، نعم ، لأن العالم الآن يملك كل شيء إلا هذا ، هذه النقطة التي أريد أن ألفت النظر إليها أنكم موضع أمانة وثقة ، إنكم من فوق المنابر ومن حلقات الدروس توجهون المستمعين إلى أن يحيوا حياة إسلامية كاملة ، وحدة كاملة لا وحدات مبعثرة ، وحدات متناقضة ، مسلم في العقيدة ، ولكنه نازل هذه المنزلة من المعاملات في الأخلاق ، في التجارة ، في الوظيفة ، في الجوار ، مسلم من العقيدة إلى الكلام مع الناس وإلى المشي في الأسواق ، وإلى قضاء الحياة ، مسلم من أوله إلى آخره ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ ﴾ [فصلت: ٣٠] استقاموا، ومعنى الاستقامة الشمول ليس معنى الاستقامة الثبوت فقط ، بل يدخل في معنى الاستقامة الثبوت والشمول ، هؤلاء هم المستقيمون الذين تشمل حياتهم كل جوانب الإسلام، العقائدية، والخلقية ، والعملية ، والاقتصادية ، والسياسية ، والإدارية .

والله الهادي إلى الصواب

فهرس الموضوعات

الموضوع	رقم الصفحة
هذا الكتاب	٥
النبوة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة الصحيحة والهداية الكاملة	٧
نموذج من فكر الإمام ابن تيمية	٧
ماذا يثبته القرآن ويعلنه	١١
ضلال الفلسفة اليونانية وسر شقائها وخيبتها	١٢
دور ابن تيمية في التركيز على ما جاء عن طريق الأنبياء	١٤
المقارنة بين الإلهيات اليونانية وعلوم الأنبياء وتعاليمهم	١٤
الفرق الأساسي بين القرآن والفلسفة في ذات الله وصفاته	١٨
توارد علمي والتقاء فكري عقائدي عجيب	١٨
عجز العقل والكشف وإخفاقهما في إدراك حقائق ما وراء الطبيعة	١٩

مطالبة القرآن للمسلمين بالانقياد التام والاستسلام الكامل ٢٤
المجتمع الإسلامي المعاصر ٤١
استعراض المجتمع الإسلامي في ضوء الواقع ٤١
واقعان يبدوان متناقضين ٤١
الفارق الأساسي بين المجتمع الإسلامي المعاصر
والمجتمعات غير الإسلامية ٤٢
مصدر قوة خارقة للعادة ، والوسيلة الأقوى للبعث
الجديد ٤٣
توفق قادة المجتمع الإسلامي الماضين في استخدام هذه
القوة، وعدم انتفاع القادة العصريين بهذه الثروة والطاقة . ٤٤
تصوير المجتمع الإسلامي وتنويه بما يمتاز به ٤٦
أسباب حيرة العالم الإسلامي ٤٨
ما هي أسباب حيرة الشباب المسلم ٤٩
النقاط الرئيسية الحاسمة لتغيير الحال ٥٣
الأمل في القادة المخلصين الجادين الواقعيين ٦١
حاجة العالم إلى مجتمع إسلامي مثالي أفضل ٦٣
فهرس الموضوعات ٧٩

* * *